

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

ميدان: التاريخ

فرع: تاريخ حديث

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث



مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر الأكاديمي في التاريخ الجزائر الحديث

الرايس حميدو و دوره في الجهاد البحري (1815-1770)

اشراف الدكتور :

- أ.د. مصطفى عبيد

إعداد الطالبة:

بن معتوق مفيدة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	أ. خديجة تلجوم
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	أ.د. مصطفى عبيد
ممتحنا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	أ.د. حسين محمد الشريف

السنة الجامعية: 2025/2024 - 1446/1445

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۱۴۳۸

شكر وعرفان

الحمد لله الذي هداني لهذا، وأوقد فيّ شعلة العلم، وزرع في نفسي حب الاجتهاد والمثابرة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للدكتور المشرف مصطفى عبيد الذي غمرني بتوجيهاته وإرشاداته القيّمة، ومساعدته طيلة إنجازي لهذا العمل، راجيةً من المولى عز وجل أن يعوضه خيراً إن شاء الله.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أوجه شكري إلى أساتذة قسم التاريخ، كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة لما سيبدلونه من جهد في تقييم هذا العمل، وإلى كل من ساهم في دعمي في إنجاز هذا العمل، ولو بكلمة طيبة.

اقراء



. الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أهدي ثمرة جهدي إلى من حملتني وهنأ على وهن، التي يباركني الله بعونها، وسهرت من أجلي، روعي ومنبع وجودي، أُمِّي الحبيبة.

إلى رمز الصمود والجهاد، إلى من علمني أن الدنيا كفاح وتحدي، وأن العلم سلاح من لا سلاح له، إلى من بثّ فيّ روح الصبر والعطاء، وكرّس حياته من أجل تعليمي، إليك أنت أبي الغالي.


إلى كل من يعز على قلبي،

أسرتي، أختي، وإخواني...

إلى رفاق الدرب...

إلى أحباب القلب...





فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر و عرفان

اهداء

أ	مقدمة
2	الإطار المنهجي للدراسة
2	الإطار الزمني والمكاني للموضوع
2	دوافع اختيار الموضوع
3	إشكالية
3	أهداف الدراسة
	أسباب اختيار الموضوع.....خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
4	المنهج المتبع
5	الصعوبات المعترضة:
4	الدراسات السابقة:

الفصل الأول : نظرة عامة عن الجهاد البحري الجزائري قبل 1770

8	تمهيد
9	المبحث الأول: تنظيم الأسطول البحري الجزائري قبل 1770
9	المطلب الأول: الهيكل التنظيمي وإدارة الشؤون البحرية
10	المطلب الثاني: الموارد اللوجستية والتكنولوجيا ودور القرصنة
12	المبحث الثاني : أهم المعارك البحرية قبل 1770 - المواجهات مع القوى الأوروبية.
12	المطلب الأول: الصراع مع فرنسا وبريطانيا
13	المطلب الثاني: معارك ضد الولايات الإيطالية
15	المطلب الثالث : أهم المعارك مع الإمبراطورية الاسبانية
21	المطلب الرابع: النتائج الاستراتيجية للجهاد البحري

الفصل الثاني: الرايس حميدو و مساهمته العسكرية

- المبحث الأول: لمحة عن الرايس حميدو 25
- المطلب الأول: النشأة والخلفية الاجتماعية 25
- المطلب الثاني: التكوين البحري والصفات القيادية 26
- المبحث الثاني: مساهمته البحرية والعسكرية 31
- المطلب الأول: تطوره في مراتب القيادة البحرية 31
- المطلب الثاني: دوره في تعزيز الجهاد البحري والتنظيم القتالي للأسطول الجزائري 33

الفصل الثالث : نشاطه البحري ضد القوى الأوروبية و الامريكية

- المبحث الأول: العمليات البحرية ضد القوى الأوروبية 44
- المطلب الأول : العمليات الحربية ضد مملكة نابولي(1794-1800) 44
- المطلب الثاني : مواجهة نابولي، هولندا، وإسبانيا 45
- المبحث الثاني: الحملة الأمريكية وتطور الوظيفة السياسية للرايس حميدو 48
- المطلب الأول الظروف العامة لحملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر (1815م) 49
- المطلب الثاني : مضمون معاهدة 30 جويلية 1815م وآثارها الدبلوماسية 50
- المطلب الثالث : تحليل دور الرايس حميدو في البحرية الجزائرية 52
- خاتمة: 56
- قائمة المصادر و المراجع 62
- الملاحق 58
- ملخص: 66

المقدمة

شهد المغرب الإسلامي خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر تحولات عميقة، كان أبرزها تفكك وحدته السياسية وتراجع قوته الاقتصادية، مما جعله هدفًا لأطماع القوى الأوروبية الصاعدة، وعلى رأسها إسبانيا، التي سارعت إلى احتلال أجزاء من السواحل المغربية، مستغلة حالة التراجع التي عرفتھا المنطقة. في هذا السياق، برزت الجزائر كقوة بحرية ناشئة تبنت سياسة الجهاد البحري كوسيلة للدفاع عن سواحلها وصدّ التوسع الأوروبي.

وقد لعب الجهاد البحري دورًا محوريًا في تأمين المجال البحري الجزائري، وتطور من مجرد ردّ فعل دفاعي إلى استراتيجية منظمة ذات أبعاد عسكرية واقتصادية وسياسية. وكان لهذا النشاط أثر بالغ في بناء أسطول بحري قوي تحوّل مع الزمن إلى مؤسسة شبه مستقلة داخل الدولة العثمانية، تعكس قدرة الجزائر على فرض نفسها كقوة فاعلة في البحر المتوسط.

ومن بين أبرز القادة الذين ارتبط اسمهم بهذه المرحلة، يبرز اليريس حميدو، أحد أعلام الجهاد البحري الجزائري، والذي لمع نجمه خلال أواخر العهد العثماني. وُلد سنة 1770، ونشأ في بيئة بحرية، وارتقى تدريجيًا في سلم القيادة حتى أصبح من أهم رياس البحر في تاريخ الجزائر. امتاز بشجاعته وحنكته العسكرية، وترك بصمة واضحة في معارك بحرية كبرى ضد عدة قوى أوروبية وأمريكية، على غرار إسبانيا، السويد، الدنمارك، وهولندا، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية.

وتكمن أهمية دراسة اليريس حميدو في أنه يُجسد نموذجًا للقائد البحري المجاهد الذي لم تقتصر مساهمته على العمليات الحربية، بل تجاوزها إلى حماية السيادة الجزائرية، وتأمين الطرق التجارية، وتعزيز مكانة الجزائر في محيطها المتوسطي والدولي. كما أن نشاطه البحري يعكس التفاعل الديناميكي بين الدفاع عن دار الإسلام وتحقيق المكاسب الاقتصادية والسياسية للدولة الجزائرية.

وعليه، تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية الرايس حميدو، من خلال تناول دوره في الجهاد البحري بين سنتي 1770 و1815، وتحليل أبعاد نشاطه البحري في ظل التحديات الإقليمية والدولية التي واجهتها الجزائر في تلك المرحلة.

الإطار المنهجي للدراسة

يتحدد الإطار المنهجي لهذه الدراسة من خلال مجموعة من العناصر الأساسية التي ترسم معالم البحث وتوجّه خطواته التحليلية والمعرفية. فبالنسبة للإطار الزمني، تغطي الدراسة الفترة الممتدة من سنة 1770م، تاريخ ميلاد الرايس حميدو، إلى غاية سنة 1815م، التي تُعدّ محطة مفصلية في تاريخ البحرية الجزائرية، إذ شهدت استشهاد الرايس حميدو خلال إحدى المعارك البحرية ضد الأسطول الأمريكي. وتمثل هذه المرحلة ذروة نشاط الجهاد البحري الجزائري، وظهور الرايس حميدو كأبرز رياس البحر في تلك الحقبة.

الإطار الزمني والمكاني للموضوع

أما من حيث الإطار المكاني، فيتركز البحث على فضاء البحر الأبيض المتوسط، خاصة الحوض الغربي منه، حيث كانت تجري المواجهات البحرية بين الأسطول الجزائري والقوى الأوروبية كفرنسا، إسبانيا، وإيطاليا. كما يتوسّع المجال الجغرافي ليشمل مناطق الأطلسي، على غرار السواحل المغربية، والمياه المقابلة للولايات المتحدة الأمريكية، وهي المسارح التي عرفت حضورًا جزائريًا قويًا في سياق ما سُمي بـ"الجهاد البحري".

دوافع اختيار الموضوع

وقد جاء اختيار موضوع "الرايس حميدو ودوره في الجهاد البحري (1770-1815)" استجابةً لجملة من الدوافع المعرفية والعلمية. فالدافع الأول تمثل في الرغبة في تسليط الضوء على أحد أعلام التاريخ البحري الجزائري الذي لم ينل بعد ما يستحقه من دراسة وتحليل، رغم أهميته الاستراتيجية والرمزية. كما يُعزى اختيار الموضوع إلى الرغبة في فهم طبيعة الجهاد البحري في أواخر العهد العثماني، والكيفية التي ساهم بها قادة أمثال الرايس حميدو في ترسيخ

مفهوم السيادة البحرية الجزائرية. هذا بالإضافة إلى التوجيه الأكاديمي الذي تلقيناه من الأستاذ المشرف، الذي أشار إلى أهمية هذا المحور البحثي وقلة المعالجة العلمية المتخصصة له

الإشكالية

وترتكز الدراسة على إشكالية محورية، يمكن صياغتها في السؤال التالي " ما هو الدور الذي اضطلع به الرايس حميدو في الجهاد البحري الجزائري خلال الفترة الممتدة من 1770 إلى 1815؟ ".

وتتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية، من بينها: ما هي خصوصيات الجهاد البحري الجزائري في أواخر العهد العثماني؟ كيف ساهم الرايس حميدو في تطوير هذا النشاط البحري؟ ما أبرز المعارك التي قادها؟ وما مدى تأثير نشاطه في السياسة البحرية الجزائرية والعلاقات الدولية؟

أهداف الدراسة

وانطلاقاً من هذه الإشكالية، تهدف الدراسة إلى إبراز الأدوار المتعددة التي قام بها الرايس حميدو في إطار الجهاد البحري، سواء على المستوى العسكري أو السياسي أو الاقتصادي. كما تسعى إلى تحليل طبيعة الأسطول الجزائري، وظروف نشأته وتطوره، وصولاً إلى تحديد الأبعاد الرمزية لنشاطات رياس البحر في الدفاع عن السيادة الجزائرية.

الهيكل العام للدراسة

اعتمدت الدراسة الخطة التالية، مقدمة و ثلاث فصول و خاتمة :

الفصل الأول: نظرة عامة حول الجهاد البحري الجزائري تم التطرق فيه إلى نشأة وتطور الأسطول البحري الجزائري، والظروف التاريخية والسياسية التي أسهمت في تشكله، مع الإشارة إلى العوامل التي جعلت من الجهاد البحري أحد أعمدة الدفاع والسيادة في الجزائر العثمانية.

الفصل الثاني: الرايس حميدو و مساهمته العسكرية

خصص هذا الفصل لدراسة شخصية الرايس حميدو، نشأته، تكوينه البحري، السمات القيادية التي ميزته، ومسيرته في الأسطول الجزائري، مركزين على تطوره من بحار بسيط إلى أحد أبرز قادة البحر.

الفصل الثالث: نشاطه البحري ضد القوى الأوروبية و الامريكية تم فيه تناول أهم العمليات العسكرية البحرية التي قادها الرايس حميدو، من بينها الحملات ضد نابولي، السويد، الدنمارك، الولايات المتحدة، وهولندا. كما تم تحليل أبعاد نشاطه البحري من جوانب عسكرية، سياسية، واقتصادية، للكشف عن مدى تأثيره في ترسيخ السيادة البحرية الجزائرية.

المنهج المتبع

ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمدت الدراسة على مجموعة من المناهج المتكاملة. في المقدمة، تم اعتماد المنهج التاريخي الوصفي لجمع المادة المصدرية المرتبطة بفترة البحث، سواء كانت وثائق، كتب، أو دراسات سابقة. ثم تم توظيف المنهج التحليلي لتفكيك الأحداث والمعارك المرتبطة بالرايس حميدو، بهدف فهم دوافعها ونتائجها. وأخيراً، تم استخدام المنهج التركيبي في بناء صورة شاملة عن شخصية الرايس حميدو، تجمع بين المعطيات العسكرية والسياسية والاجتماعية، في إطار التحولات الكبرى التي شهدتها الجزائر في العهد العثماني.

الدراسات السابقة:

عند مراجعة المصادر و المراجع المتوفرة حول الموضوع، يُلاحظ أن الدراسات التي تناولت الرايس حميدو بصفة مباشرة تبقى قليلة ومحدودة في عمقها التحليلي من بين أبرز الدراسات التي تطرقت إلى الرايس حميدو، نذكر كتاب **ألبرت دوفو بعنوان "الرايس حميدو"**

Albert Devoux: Rais Hamidou، وهو من أوائل الكتب التي تناولت هذه الشخصية.

غير أن محتواه اقتصر على سرد معلومات مقتضبة تتعلق بتاريخ ولادته، وبعض صفاته،

وبداياته في البحرية، بالإضافة إلى ما حققه من غنائم من خلال غزواته في كل من إسبانيا، البرتغال، السويد، والدنمارك، وانتهى بتوثيق حادثة وفاته. ومع ذلك، يُلاحظ أن الكاتب لم يقدم رؤية شاملة لحياة الراجس حميدو، بل اكتفى بتجميع معطيات عامة دون الغوص في تحليلات معمقة.

كذلك تناول علي تابلت في كتابه "الراجس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815" جانبًا من شخصية هذا القائد البحري. وقد ركز على بعض تفاصيل الغزوات التي قادها، مع استحضار معلومات محدودة عن شخصيته وسيرته. إلا أن القارئ يلحظ وجود تشابه كبير بين هذا العمل وكتاب دوفو، ما يُرجح اعتماد الكاتب على نفس المادة المصدرية أو نقله عنها بصورة مباشرة دون إضافة تحليلات أو رؤى جديدة.

وعليه، فإن هذه الدراسة تأتي في سياق سدّ هذا الفراغ المعرفي، من خلال محاولة تقديم قراءة متكاملة وأكثر شمولًا لدور الراجس حميدو، سواء في إطاره العسكري البحري أو ضمن السياقات السياسية والاقتصادية التي شهدتها الجزائر خلال أواخر العهد العثماني.

وبناءً على ما سبق، تأتي هذه الدراسة لمحاولة سدّ هذا النقص المعرفي من خلال تقديم قراءة متكاملة حول شخصية الراجس حميدو، تجمع بين الأبعاد العسكرية والسياسية والاقتصادية، مع استحضار السياق التاريخي العام للجهاد البحري الجزائري في الفترة المدروسة.

التعريف بأهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع فيمالي:

الصعوبات المعترضة:

لم تخلُ الدراسة من بعض الصعوبات، من أبرزها ندرة المصادر الدقيقة حول سيرة الراجس حميدو، خصوصًا تلك المكتوبة من منظور جزائري أو عربي. فغالبًا ما تستند الدراسات المتاحة إلى كتابات أجنبية، ما يتطلب الحذر النقدي في التعامل مع مضامينها. كما أن المعلومات المتعلقة بتفاصيل حياة الراجس حميدو تأتي مبعثرة، وغير متكاملة، ما جعل مهمة

التوثيق وإعادة البناء أكثر تعقيدًا. أضف إلى ذلك ضيق الوقت المتاح لإنجاز البحث، مما حال دون التوسع في بعض الجوانب التحليلية التي كان بالإمكان استكشافها بشكل أعمق.

الفصل الأول

نظرة عامة عن الجهاد البحري الجزائري قبل 1770

المبحث الأول: تنظيم الأسطول البحري الجزائري قبل 1770

المبحث الثاني: أهم المعارك البحرية قبل 1770-المواجهات مع القوى الأوربية

تمهيد

شهد التاريخ البحري للجزائر تطورات كبيرة في الفترة التي سبقت عام 1770، حيث برز الأسطول البحري الجزائري كنموذج فريد للتنظيم الإداري والعمليات القتالية التي جمعت بين الانتماء للدولة العثمانية والاستقلال الإداري في الشؤون البحرية، وقد ساهم هذا التنظيم في تحقيق هيمنة جزائرية على البحر الأبيض المتوسط، مما جعلها قوة بحرية استراتيجية ذات تأثير اقتصادي ودبلوماسي، يستعرض هذا الفصل تفصيليًا منظومة التنظيم الإداري واللوجستي للأسطول، بالإضافة إلى أهم المواجهات البحرية التي خاضها، مع تحليل نقدي للآليات التنظيمية والتكتيكية التي اعتمدت عليها الجزائر في سبيل حماية مصالحها الوطنية.

المبحث الأول: تنظيم الأسطول البحري الجزائري قبل 1770

يُظهر الأسطول البحري الجزائري قبل 1770 نموذجًا فريدًا للتنظيم البحري، إذ جمع بين الانتماء للدولة العثمانية والتمتع بالسيادة الجزائرية في الشؤون البحرية، وقد مكن هذا النظام الجزائري من اتخاذ قرارات ميدانية سريعة وصائبة، مما جعله قوة قتالية بحرية استثنائية.

المطلب الأول: الهيكل التنظيمي وإدارة الشؤون البحرية

أ. الانتماء العثماني والخصوصية الإدارية

كانت الجزائر، رغم كونها إيالة للدولة العثمانية، تتمتع باستقلالية إدارية خاصة في المجال البحري، إذ كان الرياس (قادة البحر) يتولون إدارة الأساطيل دون تدخل مباشر من الإدارة المركزية. وقد انعكس ذلك في كفاءة تنظيمية استثنائية مكنت القادة المحليين من اتخاذ القرارات الحاسمة أثناء المعارك: "هذا الارتباط العثماني استند إلى آليات إدارية خاصة تُمكن الرياس من اتخاذ قرارات حاسمة في ساحات المعارك دون التقيد بمناطق السلطة المركزية⁽¹⁾".

إن هذا المبدأ الإداري أكسب الأسطول قدرة عالية على التكيف مع الظروف المتغيرة في ساحات القتال، مما ساهم في تحقيق انتصارات عدة ضد الخصوم الأوروبيين.

ب. نظام الترقية والروح القتالية

كان نظام "الرياسة البحرية" قائمًا على الكفاءة والشجاعة، إذ كانت الترقية مفتوحة لجميع البحارة بشرط إثبات الجدارة في المعارك. وقد أثبت هذا النظام نجاحه في خلق بيئة تنافسية محفزة، ساعدت على تطوير مستوى الأداء القتالي والمهني للرياس. وفي هذا السياق، يقول

(1) - مولاي بلحميسي، Marine et marins d'Alger (1518-1830)، الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، 1996،

وليم سينسر"الترقية لم تكن محصورة بأصول اجتماعية أو نسب، بل كانت قائمة على إثبات القدرة والشجاعة في المعارك"⁽¹⁾.

هذا النهج، الذي يكرّس مبدأ الجدارة، شكل الأساس الذي بُنيت عليه النجاحات المتتالية للأسطول، مما جعله قوة بحرية لا يُستهان بها.

ج. الهيكل الإداري وتوزيع المسؤوليات

اعتمد الأسطول على هيكل إداري متكامل يتمثل في "ديوان الحكم" الذي تألف من ستة أعضاء، منها "وكيل الخرج" المسؤول عن الشؤون العسكرية و"الآغا" قائد القوات البرية. وقد ساهم هذا التوزيع الوظيفي في تحقيق تنسيق فعال بين الإدارة العسكرية والإدارية.

المطلب الثاني: الموارد اللوجستية والتكنولوجية ودور القرصنة

أ. أحواض بناء السفن والتقنيات البحرية

لعبت الموارد اللوجستية والتكنولوجية دورًا محوريًا في دعم النشاط البحري للجزائر، فقد كانت مدن مثل بومرداس والعاصمة ووهران تضم مرافق متطورة لصناعة السفن الحربية. كانت "دار الصناعة" في بومرداس بمثابة معقل تكنولوجي حديث، إذ استخدمت أحدث التقنيات في بناء السفن، مما مكنها من تصنيع سفن خفيفة وسريعة ذات قدرة عالية على المناورة

"أحواض بناء السفن في بومرداس لم تكن مجرد ورش عمل، بل كانت معاقل تكنولوجية ساهمت في صناعة أسطول قادر على خوض المعارك البحرية بفعالية"⁽²⁾.

إن الابتكار في تصميم السفن والتجهيزات الفنية المصاحبة لها كان له دور كبير في منح الأسطول ميزة تنافسية واضحة على نظيره الأوروبي.

(1)- وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، الجزائر: دار القصة، 2006، ص 10.

(2)- ألبير دوفو، الرايس حميدو، ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1972، ص 4.

ب. القرصنة كمصدر للدخل

لم يكن الاعتماد على القوة العسكرية وحده كافياً، بل اعتمد الأسطول الجزائري على القرصنة كمحرك اقتصادي أساسي. فقد كانت الغنائم الناتجة من العمليات القرصانية تُوزع بين البحارة والرياس، مما شجّع الكفاءات الجديدة على الانضمام لهذا الكيان البحري "اعتماد القرصنة لم يكن مجرد تكتيك عسكري بل كان محركاً اقتصادياً يضمن استمرارية النشاط البحري وتمويل العمليات العسكرية"⁽¹⁾.

تشير السجلات إلى أن قيمة الغنائم في إحدى الحملات عام 1797م تجاوزت 200,000 فرنك فرنسي⁽²⁾، ما ساعد في تمويل تحديث الأسطول وتوسيع نشاطاته في البحر الأبيض المتوسط.

ج. البعد الديني والاجتماعي

كان للجهاد البحري بُعد ديني واجتماعي عميق، إذ شكل الدافع الروحي خلف الانتصارات البحرية. فبعد سقوط غرناطة عام 1492م، اعتبر الكثير من البحارة الجهاد وسيلة للانتقام من الهجمات المسيحية، ما أضفى على العمليات البحرية طابعاً دينياً مكثفاً. وصف الرحالة والكتّاب الرياس الجزائريين بأنهم "تار على النصارى"⁽³⁾، مما يعكس القوة النفسية والمعنوية التي تميزت بها القوات البحرية. علاوة على ذلك، أحدث نجاح الغزوات البحرية تحولاً اجتماعياً واقتصادياً داخل المجتمع الجزائري؛ إذ انتعشت الأسواق وتضاعفت ثروة الدولة نتيجة لتدفق الغنائم، وأصبح للجزائر

(1)- Roland Courtinat, La piraterie barbaresque en Méditerranée, Paris: Éditions L'Harmattan, 2003, pp. 35-36

(2)- Albert Devoulx, Le Registre des prises maritimes, Paris: Typographie Adolphe Jourdan, 1871, p. 153.

(3)- التمكروتي، النفحة المسكية، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2002، ص 129.

مكانة تجارية مرموقة في الأسواق الأوروبية، حيث كانت الغنائم تُباع في أسواق مثل ليفورنو الإيطالية قبل انتقالها إلى الأسواق الأوروبية⁽¹⁾

المبحث الثاني : أهم المعارك البحرية قبل 1770 - المواجهات مع القوى الأوروبية

يأتي المبحث الثاني ليتناول أهم المواجهات البحرية التي شارك فيها الأسطول الجزائري قبل عام 1770، وكيف ساهمت تلك المعارك في ترسيخ هيمنة الجزائر على البحر الأبيض المتوسط وتشكيل دوره الاستراتيجي الدولي.

المطلب الأول: الصراع مع فرنسا وبريطانيا

في هذا المطلب نركز على محاولات القوى الأوروبية، ولا سيما فرنسا وبريطانيا، لفرض هيمنتها على البحر الأبيض المتوسط عبر عمليات عسكرية مباشرة ضد الجزائر. سعت فرنسا في عام 1683م إلى قصف العاصمة الجزائرية ضمن استراتيجية لتوسيع نفوذها في المنطقة، إذ اعتمدت القوات الفرنسية على المدافع الثقيلة. إلا أن الظروف المناخية والجغرافية لعبت دورًا حاسمًا في عرقلة تنفيذ العملية؛ فقد أشارت الدراسات إلى أن التحصينات الدفاعية القوية وتكتيكات "الكر والفر" التي اتبعتها الأسطول الجزائري حالت دون تحقيق النتيجة المرجوة. يوضح (De Grammont, H) في كتابه (*Histoire d'Alger sous la domination turque*) أن:

"الهجوم الفرنسي تعرض لعقبات جغرافية ومناخية جعلت من صعوبة تنسيق المدافع، مما أسفر عن فشل العملية بأكملها"⁽²⁾.

ومن جانبه، يذكر القنصل الفرنسي بيير دان في كتابه *Histoire de Barbarie* أن:

"الرياح العاتية التي عرقلت توجيه المدافع الفرنسية كانت السبب الرئيسي في فشل

(1)- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2005، ص 174؛ علي تابلت، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1830م، الجزائر: الأبيار، 2006، ص 319.

(2)- H. De Grammont, *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Paris: E. Leroux, 1887, p. 366

الهجوم، مما كشف ضعف التخطيط الأوروبي⁽¹⁾.

أسفر هذا الفشل عن تعزيز سمعة الجزائر كـ"حصن منيع"، حيث جعلت الدول الأوروبية تفضل حلول التفاوض على المواجهات العسكرية المباشرة "الفشل الفرنسي في قصف العاصمة أدى إلى إعادة ترتيب الأوراق على الساحة الدولية، مما أجبر الدول الأوروبية على التفكير في حلول دبلوماسية بدلاً من المواجهات العسكرية"⁽²⁾.

كما أن هذا الحدث دفع فرنسا إلى دفع 120,000 فرنك سنويًا كاتاوات لضمان أمن سفنها، وفقًا لما ذكره⁽³⁾

على صعيد آخر، نفذت الجزائر غارات بحرية على السواحل البريطانية، حيث وصلت سفنها إلى إنجلترا عام 1631م واستولت على سفينة تجارية بريطانية محملة بالقطن والتوابل. وقد شكل هذا الفعل ضربة مباشرة للنظام التجاري البريطاني، مما استلزم تدخلًا دبلوماسيًا سريعًا. ففي عام 1620م، أرسلت بريطانيا سفيرًا للتفاوض على إطلاق سراح الأسرى، ووافقت الجزائر على دفع 500 جنيه لكل أسير، كما أفاد في كتابه الصراع بين قراصنة تونس والجزائر. وقد وصف المؤرخ وليم سينسر الجزائر بأنها: "قوة بحرية لا تُقهر، تُدير دفعة الصراع في المتوسط"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: معارك ضد الولايات الإيطالية

تعد المعارك ضد الولايات الإيطالية من أهم المحطات في تاريخ البحرية الجزائرية، حيث لعبت هذه المواجهات دورًا رئيسيًا في تغيير موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط.

(1)– Pierre Dan, Histoire de Barbarie et de ses corsaires, Paris: Pierre Rocolet, 1637, p.

(2)– وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، مرجع سابق، ص18

(3)– حمدان خوجة المرآة، 2006، ص154

(4)– خالد الساحلي، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1975، ص 106–108.

أ. غزو سواحل إيطاليا (1534)

قاد خير الدين بربروس حملة بحرية في عام 1534م استهدفت سواحل إيطاليا، حيث تمكن من الاستيلاء على 12 سفينة جنوية وأسر نحو 200 بحار. جاءت هذه الحملة في إطار استراتيجية تهدف إلى إضعاف الاقتصاد التجاري لجنوة وتفكيك قوتها البحرية. يشير الجديري في "الزهرة النائرة" إلى أن:

"الهجوم الذي شنه خير الدين بربروس كان له أثر بالغ في إضعاف مراكز التجارة في جنوة، مما فتح المجال أمام الجزائر لإعادة ترتيب موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط⁽¹⁾".

كما أضاف فرناند بروديل في "La Méditerranée" أن هذه الغارات أدت إلى حدوث هجرة جماعية لسكان السواحل الإيطالية إلى الداخل خوفاً من تكرار الهجمات، مما ترك تأثيراً سلبياً على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة⁽²⁾.

ب. مواجهات مع البندقية

لم تقتصر المواجهات على جنوة فقط، بل امتدت لتشمل البندقية، التي كانت تعدّ مركزاً تجارياً حيوياً. اتبعت الجزائر استراتيجية استهدفت السفن التجارية في البحر الأدرياتيكي، حيث تمكنت الرياسات من الاستيلاء على حوالي 50 سفينة بين عامي 1600-1650م، مما ألحق خسائر اقتصادية جسيمة بالمدينة:

"الاستيلاء المتواصل على السفن التجارية للبندقية لم يكن مجرد هجوم عسكري، بل كان حملة اقتصادية هدفت إلى تفويض قدرة البندقية على السيطرة على طرق التجارة البحرية⁽³⁾".

(1) - ابن رقية التلمساني، الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة، ترجمه ألفونس روسو، ط1، 2017، ص101

(2) - Fernand Braudel. La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II. Paris: Armand Colin, 198 p 191.

(3) - خالد الساحلي، مرجع سابق، ص106

وقد أفاد القنصل البندقي ماركو أنطونيو بأن الجزائر فرضت ضرائب باهظة على تجارة البندقية، مما أجبرها على دفع 25,000 دوكات ذهبية سنويًا لتعويض الخسائر. (1)

المطلب الثالث : أهم المعارك مع الإمبراطورية الإسبانية

1- معركة جربة

-الخلفية والأهداف

تعد معركة جربة (1560) من أبرز المعارك التي خاضها الأسطول الجزائري ضد التحالف الأوروبي بقيادة إسبانيا. جاءت المعركة في إطار جهود الدولة العثمانية والجزائر في مواجهة التدخل الأوروبي في شؤون البحر الأبيض المتوسط، إذ كان الهدف الأساسي هو حماية السواحل الجزائرية وصد محاولات السيطرة على المنطقة. وقد تبنت البحرية الجزائرية تكتيكات بحرية متطورة مبنية على تنظيم الرياسة البحرية، مما مكّنها من مواجهة الأعداء رغم التفوق العددي للقوات الأوروبية(2).

-سير المعركة

انطلقت قوات البحرية الجزائرية بقيادة أحد القادة المتميزين ضمن نظام "الرياسة البحرية"، حيث تميزت بتنسيق عسكري متكامل ومهارات قتالية عالية. استخدمت القوات الجزائرية تكتيك "ال هجوم المفاجئ" على السفن الأوروبية من خلال استغلال سرعة المراكب الخفيفة وتكتيكات المناورة في البحر المفتوح. وأسفرت المعركة عن تدمير عددٍ من السفن الأوروبية، مما أدى إلى تقويض القدرة الملاحية للتحالف الإسباني وتأكيد هيبة الأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط.

-النتائج والأثر

أسفرت معركة جربة عن نصر حاسم للأسطول الجزائري، حيث ساهم هذا الانتصار في تأكيد مكانة الجزائر كقوة بحرية رئيسية في المنطقة. وأدى النصر إلى فرض ضغوط نفسية

(1)- Devoux, Le Registre des prises maritimes , p149

(2)- وليم سينسر، "الجزائر في عهد رياس البحر"، 2006، ص. 10؛

على الدول الأوروبية وتحسين موقف الدولة الجزائرية في المفاوضات الدبلوماسية اللاحقة. كما أثرت المعركة إيجابياً على الروح المعنوية للبحرية الجزائرية ونشرت سمعة قوية حول كفاءتها وقدرتها على مواجهة القوى العظمى⁽¹⁾.

2- حصار الجزائر 1775

-الخلفية والدوافع

يُعد حصار الجزائر أحد الأحداث البارزة التي تجلت فيها قدرة الأسطول البحري الجزائري على صد المحاولات العدوانية من قبل القوى الأوروبية، لاسيما من إسبانيا والبرتغال. جاء الحصار في إطار محاولات تلك الدول لفرض سيطرة بحرية على المنطقة وعرقلة نشاطات الجهاد البحري التي كانت تُمارَس دفاعاً عن السيادة الوطنية للجزائر.

كانت الجزائر آنذاك محوراً للسياسات الاستعمارية والصراعات الإقليمية، إذ حرصت القوى الأوروبية على فرض نفوذها على المنطقة. تسعى إسبانيا، على وجه الخصوص، إلى استعادة السيطرة على الأراضي التي كانت تحت نفوذها سابقاً. ففي سياقٍ معقدٍ من التحالفات والصراعات الإقليمية، سعت الدولة الإسبانية إلى إعادة تشكيل موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط.

يُظهر هذا الطموح بوضوح في القول:

"حاولت إسبانيا بكل ما أوتيت من قوة إبقاء الجزائر تحت سيطرتها، إلا أنه بانتهاء هذه المعركة تأكد للساسة والعسكريين الإسبان أن الجزائر الحديثة لا يمكنهم احتلالها أو إخضاعها⁽²⁾" ، بالإضافة إلى ذلك، كانت لدى الإسبان دوافع سياسية داخلية وخارجية؛ إذ رأوا في سقوط الداوي محمد بن عثمان باشا فرصة لتفكيك النظام السياسي المحلي، مما كان سيعزز مكانتهم الإقليمية ومن هنا نجد القول الذي يلخص هذه النية: "أرادت إسبانيا استغلال

(1)-ساهرة حسين محمد ، حروب البحرية العثمانية 1454-1918: دراسة تاريخية، بغداد: دار الكتب العلمية، 2022، ص 560-565.

(2)- الطاهر تومي، "الفترة الإسبانية للجزائر سنة 1775 م"، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، العدد 4، ديسمبر 2016، ص 204-217.

الفرصة والقيام بإسقاط الداوي محمد بن عثمان باشا من سدة الحكم، وتعطيل مشاريعه داخل البلاد وخارجها⁽¹⁾

كما لعبت فشل مساعي الصلح بين الطرفين دورًا مهمًا في تأجيج التوترات، ما اضطر الملك كارلوس الثالث إلى تبني نهج عسكري صارم لتحقيق أهدافه: "فشل مساعي الصلح بين الطرفين دفع الملك كارلوس الثالث إلى استخدام القوة الصارمة لتحقيق أهدافه⁽²⁾".

هذا المزيج من الطموحات الاستعمارية والتوترات السياسية الداخلية خلق بيئة خصبة لصدام مصيري كان له آثار واسعة النطاق على السيادة الجزائرية.

-مسار الحصار وتكتيكاته

دخل الحصار مرحلة حاسمة عندما قرر القادة الإسبان تنفيذ هجوم بري مكثف على المدينة. وقد اتسمت تكتيكات الحصار بدقة عسكرية وتنظيم استراتيجي استهدف نقاط الضعف في الدفاعات المحلية. فقد وضع القادة خطة مفصلة لإنزال القوات على الشاطئ الشرقي، الأمر الذي أكسبهم ميزة ميدانية في مواجهة دفاعات الجزائر. في هذا السياق، نجد توضيحًا واضحًا لاستراتيجية الإنزال:

"قرر الكونت أوريلي إنزال قواته على الشاطئ الشرقي بين وادي خنيس والمحراش، وحشد حوالي 20 ألف جندي بكامل معداتهم الحربية⁽³⁾".

لم تقتصر تكتيكات الإسبان على مجرد التحرك البري؛ بل واجه الجزائريون هذه التكتيكات بطرق مبتكرة وغير تقليدية. فقد لجأوا إلى استخدام ما يمكن وصفه بإبداع تكتيكي فريد، حيث استغلوا مواردهم الطبيعية في الصحراء لشن هجمات مباغته على خطوط العدو. ومن بين هذه التكتيكات المميزة استخدام الإبل المشتعلة:

(1)- الطاهر تومي، مرجع نفسه، ص 204

(2)- الطاهر تومي، مرجع نفسه، ص 206

(3)- الطاهر تومي، مرجع سابق، ص 211

"استخدم الجزائريون تكتيك الإبل المشتعلة، حيث أشعلوا النار في 500 جمل وأطلقوها نحو خنادق الإسبان، مما تسبب في ارتباكهم⁽¹⁾".

بالإضافة إلى ذلك، حرص الداوي محمد بن عثمان على تنظيم صفوف قواته بشكل يضمن تغطية كافة المداخل المحيطة بالمدينة، فقام بتوزيع الوحدات الدفاعية على نقاط استراتيجية متعددة مثل الحامة وباب الوادي. هذا التوزيع الاستراتيجي ساهم في إبقاء قوات العدو تحت ضغط دائم وعدم تمكنهم من اختراق الدفاعات بسهولة:

"وزع الداوي محمد بن عثمان القوات الجزائرية على مجموعات دفاعية حول المدينة، مثل قوات حسن الخرناجي عند الحامة، وقوات مصطفى خوجة عند باب الوادي⁽²⁾".

أظهر هذا المزيج من التحركات العسكرية والإجراءات التكتيكية دقة عالية في التخطيط والقدرة على التكيف مع ظروف الميدان، مما منح الجزائريين أفضلية نوعية في الدفاع عن مدينتهم.

تميز حصار الجزائر باستخدام تكتيكات متعددة شملت الاستيلاء على السفن الأوروبية، وفرض القيود على حركة التجارة البحرية، وشن غارات متكررة على السفن العابرة. اعتمدت الجزائر على نظام رياضي منظم حيث قامت بتجميع الأسطول البحري تحت قيادة قادة متخصصين، مما أتاح لها تنفيذ عمليات دفاعية متماسكة صدّ هجمات العدوان. وبفضل التكتيكات الدفاعية المتقدمة والمرونة التنظيمية، استطاع الأسطول الجزائري إحباط محاولات السيطرة الخارجية وإنهاء الحصار.

-النتائج والأثر-

أسفر الحصار عن إحباط محاولات الدول الأوروبية لفرض سيطرتها على الجزائر، مما أدى إلى الحفاظ على السيادة الوطنية وتأمين طرق التجارة البحرية. كما عزز الحصار من هيبة الأسطول الجزائري وأثبت أن النظام البحري القائم على تنظيم الرياسة البحرية والتدرج

(1)- لظاهر تومي، مرجع نفسه، ص 212

(2)- لظاهر تومي، مرجع نفسه، ص 213

الوظيفي المبني على الجدارة قادر على صد محاولات التدخل الخارجي. وقد كان لهذه النتائج أثر بالغ في تعزيز الثقة الداخلية والخارجية بالدولة الجزائرية، مما مهد الطريق لاستمرار دورها كلاعب بحري رئيسي في المنطقة⁽¹⁾.

بعد فترة من الاشتباكات والقتال المحتدم، أسفر الحصار عن نتائج كبيرة على كلا الجانبين. فقد تكبد الإسبان خسائر فادحة جعلت من الحصار نقطة تحول استراتيجية في تعاملهم مع الجزائر، كما أثبتت المقاومة الجزائرية قوتها وصلابتها في مواجهة الهجمات الأجنبية. ففي إطار تقييم الخسائر والتكاليف، نجد الإشارة التالية:

"تكبد الإسبان خسائر فادحة قُدِّرت بـ 8 آلاف قتيل و 3 آلاف جريح، بالإضافة إلى تركهم 100 مدفع ومعدات عسكرية⁽²⁾".

هذا الانتصار العسكري لم يكن مجرد تحقيق أرقام قياسية على ساحة المعركة فحسب، بل كان له تأثير نفسي كبير على الشعب الجزائري. فقد أحدث الانتصار موجة من الفخر والاعتزاز، مما عزز روح المقاومة والاستقلال في نفوس الجزائريين. وقد ترددت أصداً هذا الانتصار في مختلف أنحاء البلاد:

"زاد هذا الانتصار الإحساس بالفخر والاعتزاز لدى الجزائريين، وانتشرت الأفراح في كامل تراب الإيالة⁽³⁾".

ومن الناحية الدبلوماسية، شكلت الهزيمة الإسبانية تحولاً في السياسة الخارجية لإسبانيا، إذ بدأت الدولة تتجه نحو الحوار والدبلوماسية لتسوية النزاعات القائمة. وقد تم توقيع معاهدة صلح مع الجزائر عام 1791، مما أدى إلى انسحابها النهائي من مواقع استراتيجية مثل وهران والمرسى الكبير، وتأمين استقلال الجزائر عن الهيمنة الأوروبية المباشرة:

(1) - ساهرة حسين محمد ، مرجع سابق، ص. 560-565

(2) - الطاهر تومي، مرجع سابق، ص 206

(3) - الطاهر تومي، مرجع سابق، ص 206

"أدت الهزيمة إلى تحوُّل إسبانيا نحو الدبلوماسية، حيث وقَّعت معاهدة صلح مع الجزائر سنة 1791 م، تلاها انسحابها النهائي من وهران والمرسى الكبير⁽¹⁾".

هذه النتائج لم تقتصر على الجانب العسكري فحسب، بل كان لها بالغ الأثر في تشكيل الوعي الوطني والسياسي لدى الجزائريين، مما ساهم في ترسيخ مبادئ الحرية والاستقلال التي ظلت مصدر إلهام لاحقاً في مسيرة الاستقلال والتحرر.

(1) - الطاهر تومي، مرجع نفسه، ص 206

المطلب الرابع: النتائج الاستراتيجية للجهاد البحري

تجمع النتائج الاستراتيجية للجهاد البحري جوانب اقتصادية واجتماعية وتحولاً تكنولوجياً، مما أكسب الجزائر مكانة استراتيجية مميزة في البحر الأبيض المتوسط، رغم التحديات المستمرة.

أ. التأثير الاقتصادي والتمويل الاستراتيجي

كان للجهاد البحري تأثير اقتصادي كبير على الدولة الجزائرية. فقد أدت العمليات البحرية إلى فرض الاتاوات على الدول الأوروبية، مما أسهم في تحقيق عائدات مالية ضخمة، إذ بلغت قيمة الاتاوات حوالي 642,000 دولار سنوياً وفقاً لمعاهدة 1795 مع الولايات المتحدة كما ساهمت الغنائم والأسرى في تحقيق إيرادات سنوية تجاوزت 2 مليون فرنك فرنسي في القرن الثامن عشر وقد مكن هذا الدخل المالي الجزائر من تحديث أسطولها البحري وتمويل حملاتها العسكرية، مما عزز من موقعها الاستراتيجي في البحر الأبيض المتوسط.

أسهم النشاط البحري في تحقيق إيرادات مالية ضخمة، إذ نصت معاهدة 1795م مع الولايات المتحدة على دفع 642,000 دولار كفاتحة، بالإضافة إلى 121,000 دولار سنوياً مقابل حماية السفن . (1)

كما تجاوزت إيرادات بيع الأسرى والغنائم في القرن الثامن عشر 2 مليون فرنك فرنسي سنوياً، كما يظهر في سجلات الأرشيف العثماني (2)

هذه العائدات لم تكن مجرد أرقام مالية، بل كانت العمود الفقري الذي مكن الجزائر من تحديث أسطولها البحري وتمويل حملاتها العسكرية، مما ساهم في تحويل المدن الساحلية مثل الجزائر ووهران إلى مراكز تجارية دولية مزدهرة، مع ازدهار أسواق الذهب والعبيد (3)

(1)- Courtinat, Roland. La piraterie barbaresque en Méditerranée. Paris: Éditions L'Harmattan, 2003 , p 112

(2)- Devoux, Le Registre des prises maritimes 1871, p153

(3)- خوجة، المرأة، 2006، ص174

ب. التراجع التدريجي والتحول التكنولوجية

رغم الإنجازات الكبيرة، بدأ الأسطول البحري الجزائري يشهد تراجعاً تدريجياً مع مرور الزمن، نتيجة للتقدم التكنولوجي الأوروبي. فقد أدت صناعة السفن البخارية إلى تفوق الأساطيل الأوروبية على الأسطول الجزائري الذي اعتمد بشكل رئيسي على الأشعة⁽¹⁾ بالإضافة إلى ذلك، ساهم ضعف الدعم العثماني بعد حروب البلقان في تقليص المساعدات العسكرية للجزائر⁽²⁾

بلغت ذروة هذا التراجع مع حملة اللورد إكسموث عام 1816م، التي دمرت حوالي 30 سفينة جزائرية في ميناء الجزائر، منهية بذلك مرحلة الهيمنة البحرية الطويلة، "حملة إكسموث لم تكن مجرد هجوم عسكري، بل كانت ضربة استراتيجية أنهت الهيمنة الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط"⁽³⁾.

كما يشير أحمد توفيق المدني في مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار إلى أن الخسائر البشرية خلال الحملة بلغت نحو 3,000 قتيل، بينهم العديد من الرياسات، مما ترك أثراً بالغاً على الروح القتالية والإدارية للأسطول⁽⁴⁾.

تشكلت التجربة البحرية للجزائر قبل عام 1770 من منظومة إدارية وتنظيمية متكاملة اعتمدت على الاستقلالية المحلية والقدرات التكتيكية للرياس، مما أكسبها مكانة استراتيجية متميزة، ورغم التحديات الخارجية والتطورات التكنولوجية، ظلت تلك الفترة شاهدة على إنجازات بحرية هائلة، أثبتت أن التنظيم الجيد والتكامل بين الإدارة العسكرية واللوجستية يمكن أن يصنع فرقاً كبيراً في ساحات المعارك.

(1)- La Coste. La marine Algérienne. Paris: 1931.

(2)- يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999. ص 198

(3)- تابليت علي، الرايس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1830م. الأبيار: الجزائر، 2006، ص 25:

(4)- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 117.

إن النتائج الاقتصادية والاجتماعية لهذه الفترة، والتي انعكست في ازدهار التجارة وتدفق الغنائم، تُظهر كيف كان النشاط البحري يتجاوز مجرد الجانب العسكري ليشمل تأثيرات شاملة على المجتمع والسياسة، ورغم التراجع التدريجي في مرحلة لاحقة، فإن إرث الأسطول البحري الجزائري قبل 1770 يظل نموذجًا يحتذى به في كيفية تحويل الأزمات والتحديات إلى فرص استراتيجية.

من خلال استعراض التنظيم الإداري واللوجستي للأسطول البحري الجزائري قبل 1770 وأهم المعارك التي خاضها، يتبين أن التجربة البحرية للجزائر كانت فريدة من نوعها، فقد امتزجت فيه القدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة مع دعم القدرات التكنولوجية والمالية، مما أتاح للأسطول تحقيق انتصارات استراتيجية كانت لها أبعاد اقتصادية واجتماعية ودبلوماسية. إن هذه التجربة التاريخية تُعد درسًا هامًا في كيفية بناء قوة بحرية متكاملة تواكب التطورات وتواجه التحديات بفعالية، رغم الظروف المعقدة التي كانت تفرضها السياسات الإقليمية والدولية.

الفصل الثاني:

الرايس حميدو و مساهمته العسكرية

المبحث الأول : ملحة عن الرايس حميدو

المبحث الثاني: مساهمته البحرية والعسكرية

الفصل الثاني: الرايس حميدو و مساهمته العسكرية

يُعد الرايس حميدو أحد الرموز البارزة في تاريخ الجهاد البحري الجزائري، إذ جسّد من خلال مسيرته الشخصية والتحول التاريخي تطور الفكر القتالي والبحري في مواجهة القوى الاستعمارية. يتناول هذا الفصل تحليلاً تاريخياً دقيقاً لمسيرته، مستعرضاً نشأته والسمات القيادية التي ميزته، إضافة إلى إسهاماته في تعزيز القوة البحرية الجزائرية.

المبحث الأول: لمحة عن الرايس حميدو

المطلب الأول: النشأة والخلفية الاجتماعية

وُلد الرايس حميدو في مدينة الجزائر العاصمة عام 1770م، وذلك وفقاً للمصادر التاريخية الموثوقة، داخل أسرة من الطبقة الحضرية العربية التي كانت تسكن الأحياء الرئيسية للمدينة. وعلى عكس ما يُشاع أحياناً بأنه من بومرداس، فإن جذوره وترعرعه كانت في قلب العاصمة، حيث تأثر ببيئة متشعبة بالقيم الإسلامية والروح الجهادية⁽¹⁾.

بدأ الرايس حميدو حياته المهنية في حرفة الخياطة، إلا أن شغفه بالمغامرات البحرية دفعه سريعاً إلى الانضمام إلى صفوف البحارة الجزائريين في سن مبكرة.⁽²⁾ خلال فترة تدريبه، تلقى تعليمات في فنون الملاحة والحروب البحرية تحت إشراف قادة متمرسين، ما مهد الطريق لصعوده السريع في السلم الوظيفي البحري.

فقد برز بجرأته وكفاءته ليتولى قيادة سفينة حربية صغيرة (شباك) في ميناء وهران، ومن ثم ارتقى إلى قيادة فرقاطات كبيرة، مُثبِّتاً نفسه في معارك مبكرة أبرزها مواجهته للسفن الأمريكية عام 1793م.

(1) - علي تابليت، بحوث في تاريخ الجزائر: ج 1 الفترة العثمانية، الجزائر: دار ثالة، 2014، ص 186.

(2) - ألبير دوفو، الرايس حميدو، تعريب الدكتور محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1972، ص 4.

المطلب الثاني: التكوين البحري والصفات القيادية

أولاً : صفاته

تميّز الرايس حميدو بسمات قيادية فريدة ساهمت في بروز شخصيته التاريخية، ومن أبرزها أن الرايس حميدو مثلاً يُحتذى به في الجرأة والشجاعة، حيث يصفه ألبير دوفو بأنه كان ذا فصاحة وطلاقة في اللغة، أنيقاً في اللباس، لطيفاً مع الجميع. كما تجلت خصاله في التعامل الحسن مع العشائر الكبرى، فقد كان ذا صيت عالٍ دون التفاخر بالذات بين الناس؛ فهو القائد المعروف بانتصاراته والمتشبع بروح القتال والبسالة⁽¹⁾.

لم يكن هناك ما يؤكد بأن حياته ستكون مليئة بالبطولات في البحر. كانت مهنة أبيه امتهان وممارسة حرفة الخياطة. أثناء بلوغه سن 10 أو 12 من عمره، قام أبوه باصطحابه إلى أشهر الخياطين في الجزائر لتعلم حرفة الخياطة. وحسب الروايات، كان كثير الغياب عن ورشة الخياطة، قاصداً البحارة العائدين من الرحلات البحرية، وكان كثير الإصغاء لرواياتهم ومغامراتهم المليئة بالمخاطر. فأصبح مؤلماً بتترك حرفة الخياطة جانباً والسير وراء أولئك الذين يعتبرهم أبطالاً⁽²⁾.

كان حامياً للدين الإسلامي، حيث تربي على تعاليمه وكره الاستعمار المسيحي. هذا الكره يُعتبر قاعدة جوهرية للمقاتلين المسلمين. فقرر بكل عزم ترك مهنة الخياطة للتفرغ والانشغال بمهنة الملاحة البحرية، فاشتغل نوتياً (بحاراً) على متن سفينة أحد القراصنة الذين كان عددهم كبيراً في مدينة الجزائر في تلك الفترة.⁽³⁾ وكان حميدو يقول: «إن كل ما يريده من وراء صعوده إلى

(1)– Albert Devoulx, Albert Devoulx, Le Rais Hamidounotice biographique, typographie Adolph Jourdan, Alger 1859, pp 16–17

(2)– ألبير دوفو ، الرايس حميدو المرجع السابق، ص04

(3)– إسماعيل توتة ويوسف صداقي، "الرايس حميدو أول بحار محلي في أسطول الجزائر العثمانية (1770–1815)", مجلة رؤى - الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 1، ص 80.

السفينة سوى تنشيط ركبتيه اللتين أصابهما الفشل بفعل وضعيتهما غير المريحة أثناء قيامه بعمل الخياطة⁽¹⁾

ثانيا : مراحل وصول حميدو إلى رتبة رياس

قبل الدخول في تفاصيل مراحل صعود حميدو إلى رتبة رياس، نقدم نبذة عن طائفة رياس البحر.

أ- تعريف طائفة رياس البحر

تكونت البحرية الجزائرية في الفترة العثمانية على يد طائفة رياس البحر، إلى جانب مالكي السفن والبجارة وعمال الصيانة وغيرها. وتعدُّ طائفة الرياس النواة الأساسية للقوة البحرية؛ ففي بدايات الحقبة العثمانية، سيطرت على مقاليد الحكم، حيث حقق البايبربايات مثل خير الدين بربروس، وصالح رياس، وحسن بن خير الدين، وعلاج علي وغيرهم من الانتصارات البحرية الجهادية ضد الأعداء، مما ساهم في تحقيق نوع من الاستقرار الاجتماعي عبر تخفيف الضرائب نتيجة ارتفاع إيرادات الخزينة البحرية.

بالإضافة إلى ذلك، ساهمت طائفة الرياس في عضوية الديوان⁽²⁾ وتنفيذ مشاريع الوقف؛⁽³⁾ وعلى الصعيد الخارجي، كانت بمثابة الحصن المتين في الدفاع عن ثغور الإسلام ومواجهة الحملات الأوروبية. وبمساعدة الجيش الإنكشاري تمكنت الجزائر من صد العديد من الهجمات⁽⁴⁾.

(1)- علي تابلت ، المرجع السابق، ص 3

(2)- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مصدر سابق، ص 80

(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه ص 83

(4)- نعيمة بوحمشوش، طائفة الرياس الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث المركز الوطني

للدراستات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر. 2007 ص 75 .

رغم الأصول المختلفة لرياس البحر أترك محليين أعلاج مشاركة، أندلسيون، إلا أنهم يلتقون في نقطة واحدة وهي الجهاد في سبيل الله مما رفع من معنوياتهم وكفاءتهم، وأعطى للبحرية الجزائرية نفسا جديدا، وقوة متجددة ومعدات متطورة.⁽¹⁾ وقد شكلت البحرية الجزائرية نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام، لذلك كان التكوين صارماً للغاية، إذ كان الرياس يعتبر القائد الوحيد والمسؤول الأول على متن السفينة؛ حيث يخضع له الجميع من الإنكشارية الموجودين على ظهرها، وينفذون أوامره الصادرة منه وهو جالس خلفها.

وقد روى كاتكارت، أسير الداى، في مذكراته أنه عند عودة الرياس إلى مدينة الجزائر بالغنائم تُطلق المدافع وتقام الاحتفالات لاستقبالهم، أما إذا عاد خائباً فلا تُطلق المدافع ولا تُقام الاحتفالات، بل قد يتعرض الرياس للعزل أو الجلد أو حتى السجن⁽²⁾.

ب- تنظيم طاقم السفينة

تُنظَّم السفينة بشكل دقيق ومحكم بتقسيم واضح للمهام والرتب. يبدأ الترتيب بوكيل الحرج، الذي يُعدُّ من الوظائف السامية الخمس في الدولة ويُطلق عليه بعض الوثائق "وكيل حرج باب الجهاد" أو "وكيل حرج البحرية". يتم تعيينه من قبل الداى ويعمل كوزير للبحرية، حيث يشرف على كافة نشاطات الميناء؛ من مراقبة العتاد الحربي، وأشغال الترسانة⁽³⁾ (أي صناعة وإصلاح السفن)، إلى تجهيزها وحل النزاعات بين الرياس والبحارة، إضافة إلى مناقشة قضايا التجارة الخارجية والنقل البحري. الترتيب يكون على النحو التالي:

الرياس، قائد السفينة الذي يُعد بمثابة الأغا.

(1)- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(2)- جيمس لنذر كاتكارت، مذكرات أسير الداى كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب (ترجمة وتعليق إسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص 80.

(3)- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 80.

- باش ريس، القائد الثاني.
- رايس العمة، المسؤول عن فرق الحرس.
- يا كنجي، المكلف بالتفاصيل.
- ورديان، المشرف على أعمال الخدم في الميناء.
- ياركانجي، رئيس الشراعيين.
- باش طويجي، المسؤول عن المدافع.
- قلفاط، المكلف بإغلاق فتحات السفينة.
- خوجة أو الكاتب، الذي يقوم بفك رموز الإشارات البحرية وجرد الغنائم.

بالإضافة إلى الجراح والإمام ومسجل تقرير الرحلة (1)

ج- مراحل صعود حميدو إلى رتبة ريس

لم يبلغ حميدو رتبة ريس البحر - وهي أعلى مرتبة على متن السفينة - إلا بعد خوضه مغامرات وتجارب صعبة في الميدان تحت إشراف ديوان الرياس. إذ أن الارتقاء إلى مرتبة ريس يعتمد على الكفاءة والمهارة وليس على الأقدمية كما في الجيش البري. بدأ حميدو تعلم الخياطة في سن العاشرة أو الحادية عشرة، بدافع من والده الذي كان يمتهن هذه الحرفة، ولضمان مستقبل أفضل له، مستلهماً المثل الشعبي المعروف في مدينة الجزائر "الصنعة منعة". إلا أن الشاب حميدو بدأ يتغيب عن الورشة للقاء البحارة، يستمع إلى قصصهم

(1)- Albert Devoulx. "La marine de la régence d'Alger." Revue Africaine, no. 77 (septembre 1869), p7

ويتأثر بها، فينبثق في ذهنه أنهم أبطال، مما رفع من طموحاته في مجال البحر وزاد من حنقه تجاه الكافر (1).

تخلى حميدو عن ورشة الخياطة وبدأ العمل على ظهر سفينة، وهو صغير السن، بحجة أن مهنة الخياطة كانت تقيد حركته. فبفضل نشاطه وذكائه، تمكن من التحول إلى منصب النقيب - أي المسؤول عن الطاقم - خاصة وأن هذا المجال لم يتطلب ثقافة واسعة أو تعليماً رسمياً بقدر ما استدعى شجاعة وإقداماً. وقد أكد دوفو على القدرات البحرية الاستثنائية للجزائريين، ومن بينهم حميدو. (2)

كان أول من لاحظ كفاءة حميدو ووثق فيها الباي محمد الكبير (1778-1798) باي وهران. ففي عام 1792، كلفه بالإشراف على قاربه الشخصي، ثم أوكل إليه إدارة أسطوله البحري المكون من شبكين وعدد مماثل من الأقارب . وهكذا استغل حميدو أسطوله الصغير والفرص المتاحة لأداء المناورات البحرية.

فترة حكم الداى حسن باشا بن حسين، تلمع سمعة حميدو؛ إذ أدرك الداى قيمة حميدو واستقدمه من وهران إلى مدينة الجزائر لتولي القيادة الجديدة برتبة رايس. وقد منح حميدو شبقاً فخماً مجهزاً باثني عشر مدفعاً وستين رجلاً (3).

ثروة الرايس حميدو ومكانته الاجتماعية عتمدنا عدة مؤشرات للإشارة إلى ثروة حميدو، أحدها تركته. فقراءتنا للوثيقة التي سجّلت وجردت تركته، والمؤرخة بحسب تاريخ السجل في أوائل ذي

(1)- Albert Dvevoux, « La marine de la régence d'Alger, p7

(2)- Albert Devoux. Le Rais Hamidou, ibid p.35.

(3)- رقية شارف ، المدرسة العليا للأساتذة طالب عبد الرحمان الأغواط (الجزائر) ، الرايس حميدو 1770-1815 رمز من رموز البحرية الجزائرية ، مجلة البحوث التاريخية ، المجلد 06 ، العدد 02 ، ديسمبر 2022 ، ص 423 .

القعدة 1230 هـ (أكتوبر 1815)، تُظهر تنوع و ثمن تلك التركة، رغم أنها لا تغطي كامل مخلفاته.

تشير الوثيقة إلى عدد من الأمثلة؛ فقد وردت قائمة بالأواني المتنوعة مثل سنيوة، وطبرية، وطيسان قدرة سني وغيرها، إضافةً إلى أفرشة منها "مخايد" التي ذُكرت لأكثر من أربع مرات، بالإضافة إلى لحاف، وفوطة، وحايك وغيرها. كما تبرز الوثيقة بعض قطع الأثاث مثل صندوق ذُكر سبع مرات، وسبع ساعات، وست مرايات، وخزانة، تُعد من مؤشرات الثراء في تلك الفترة، إلى جانب الملابس المتنوعة مثل القمايج، والمحازم، والشالات، والبلايغ.

ومن جانب آخر، تُشير وثيقة ثانية إلى ممتلكاته العقارية، إذ تم بموجب عقد بيع مؤرخ في أواسط محرم 1215 هـ (ماي 1800) بيع الرايس حميدو بن علي جلسة حانوت في سويقة عمور، المخصصة لصناعة المقفولجية لباي بايك الشرق، الحاج مصطفى بن السيد حسن، الذي بايعها 257 قطعة بثمن قدره 191 دينار ذهب سلطاني، وقد تم القبض على المبلغ من البائع وفقاً لاتفاق المشتري، الحاج محمد شاوش دار الإمارة العلية بن الحاج الهادي. (1)

المبحث الثاني: مساهمته البحرية والعسكرية

المطلب الأول: تطوره في مراتب القيادة البحرية

تُعدُّ الفترة من 1793 إلى 1815م حقبةً حافلة بإنجازات الرايس حميدو، إذ تؤكد كافة المصادر التي اطلعنا عليها أنها سنوات تألَّق في الساحة الجزائرية والدولية معاً. كما أنها الفترة التي انتعشت فيها البحرية الجزائرية بعد فترة ركود، عقب العصر الذهبي الذي عرفته خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

(1)- رقية شارف ، مرجع سابق ص 423 .

برز حميدو في عهد الداى حسن باشا (1790-1797)، الذي قال لوزرائه: "لا تأذوني في الباى محمد، ولا في القبطان حميدو، لأنني لا أقبل فيهما الكلام".⁽¹⁾ وقد أسفر حادث مع الداى عن تعزيز ثقته بحميدو، حيث وقعت حادثة القالة والخريطة؛ إذ تحطمت إحدى سفن الرايس حميدو من نوع الشبك أثناء خرجته البحرية إلى القالة.⁽²⁾

ورغم أنه أنقذ أرواح رجالها، لم يجرؤ على العودة إلى مدينة الجزائر خوفاً من رد فعل الداى، فانتقل إلى تونس ثم إلى قسنطينة. وعندما بلغ عنه باى تلك المنطقة، أمر الداى "باش سيار" بإحضار حميدو إلى مدينة الجزائر، حيث أثبت جدارته باستخدام نكائه في الدفاع عن نفسه خلال جداله مع الداى حول ما إذا كانت القالة ميناء أم لا. وبفضل إحضاره الخريطة، برهن على أن القالة بالفعل ميناء، مما أكد صحة اختيار الموقع.⁽³⁾

إنما كان تحطم القوارب نتيجة شدة الرياح، فعفا عنه الداى ومنحه شبقاً جديداً ووعده بانتصارات عظيمة. ورغم نشاط حميدو، فإن العام 1797م يُعتبر السنة التي ظهر فيها اسمه في دفتر غنائم البحر، إذ أسرت حراقة الباشا - وهي سفينة حربية من النوع الجنوبي المشحون بالملح - بتاريخ 22 محرم 1222هـ / 17 جويلية 1797م.⁽⁴⁾

(1) - نجوي طوبال، "الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ / 1710-

1830م)"، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2013-2014، ص 402-401.

(2) - غطاس، عائشة. الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830: مقارنة اجتماعية-اقتصادية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2007، ص 351.

(3) - منور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، الجزء الثاني: القرصنة، الأساطير والواقع (الجزائر: دار القصة للنشر، 2009)، ص 470

(4) - أحمد الشريف الزهار، "مذكرات نقيب الأشراف"، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980، ص 109.

المطلب الثاني: دوره في تعزيز الجهاد البحري والتنظيم القتالي للأسطول الجزائري

توالى إنجازات حميدو في الفترة التالية؛ ففي 15 جمادى الثانية 1212هـ / 5 ديسمبر 1797م، قام بالاستيلاء على سفينة مزودة بثلاث بندقيات وأخرى من النوع الجنوبي، بالإضافة إلى سفينتين تابعتين لنابولي، حيث بيعت بضائعها التي كانت تتألف من القمح في تونس، وأرسل محصولها إلى مدينة الجزائر بقيمة تبلغ 23,952 فرنك، مع أسر 28 أسيراً كافرًا، حسبما ورد في دفتر الغنائم⁽¹⁾.

وفي 5 رجب 1212هـ / 3 جانفي 1798م، تمكن من أسر سفينتين نابوليتين مشحونتين بالقمح، حيث تُباع بضائعهما في تونس ويُرسَل محصولهما إلى الجزائر.

توالى إنجازات حميدو خلال عهد الداى مصطفى باشا (1797-1805) الذي تصدر قيادة الحراقة التي وُضعت تحت تصرفه من قبل الداى حسن، وكانت تتألف من ستة وثلاثين مدفعًا. واستغل حميدو توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا، مما أدى إلى قطع الداى للعلاقات بين الدولتين ليستولي على المركز التجاري الفرنسي بالقالة وعلى السفينتين الموجودتين هناك، إلى جانب أسره لثمانية وتسعين عاملاً فرنسيًا. وفي 30 أوت 1799، حقق حميدو غنائم بحرية تُقدَّر بقيمة 25,468 فرنك و80 سنتيم، وظل يحتفظ بمكانة مرموقة في دفتر الغنائم البحرية، كما أشار دوفو إلى قيمة تجهيزات سفنه عند خروجها. بتفصيل وهي قيمة ومعتبرة كما تم تسليم حميدو قيادة السفينة التي شيدها الإسباني مايسترو أنطونيو (Maestro Antonio)، وهي تُعدّ أكبر باخرة في الجزائر، وقد حقق بها حميدو انتصاراته، وكانت مجهزة بـ 44 مدفعًا⁽²⁾.

(1)- رقية شارف ، مرجع سابق ص 427 .

(2)- Devoulx , Le Rais Hamidou, P 17

أ- الانتصارات البارزة

كان لمسيرة الرايس حميدو العسكرية تأثير استراتيجي ملموس في موازين القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث حقق عدة انتصارات بارزة:

خلال فترة حكم الداى أحمد باشا (1805-1808)، وفي 28 ماي 1802، قام حميدو بالاستيلاء على الفرقاطة الحربية البرتغالية التي عرفها فيما بعد باسم البرتغالية أو البرتقيز (El-Bortegaza) - كما ذكرها شوييف الزهار - والتي كانت تضم 44 مدفعاً و282 أسيراً. تُعدّ هذه الفرقاطة من أخطر قطع الأسطول البحري الجزائري، وزادت شهرة الرايس حميدو إثر هذا الانتصار الذي كان له صدى واسع.⁽¹⁾ ويروي الزهار تفاصيل الاحتفال بالإنجاز؛ إذ ساد فرح كبير لاستقباله وتنظيم احتفالات من قبل الداى وحكومته، حيث اقترح الداى على حميدو أن يقود البرتقيز، أو أن يظل على رأس فرقاطته، فاختر حميدو البقاء قائداً لفرقاطته.⁽²⁾

أثبتت انتصاراته العسكرية قوته الدبلوماسية والعسكرية، إذ أدت هذه الانتصارات إلى ضغوط على قوى كبرى مثل الولايات المتحدة، التي اضطرت إلى توقيع معاهدة عام 1796م تفرض عليها دفع 642 ألف دولار كاتاة سنوية مقابل حماية سفنها⁽³⁾.

أرسل الداى أحمد باشا (1805-1808) مبلغاً قدره ثلاثة عشر ألف وخمسمائة قرش إلى باش دائي بأزمير برفقة الرايس حميدو في سنة 1807، إذ كانت مهمته حينها تجنيد المتطوعين بمدينة أزمير خان الجزائر، ولم تمنعه هذه المهمة من تحقيق غنائم بحرية معتبرة⁽⁴⁾.

بلغت شهرة حميدو ذروتها في سنة 1808، وعندما تولى الداى علي باشا الغسال (1808-

(1)- تابليت علي ، المرجع السابق، ص 188.

(2)- احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 75

(3)-Pierre Boyer, La vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française, Hachette,

Paris, 1963, p.233

(4)- الزهار، المصدر السابق، ص 75

1809) تم نفيه إلى مدينة بيروت في سنة 1809، لأنه كان يُنظر إليه كمنافس محتمل. إلا أنه تم استدعاؤه لاحقًا وإعادته إلى الجزائر في عهد الداى علي باشا (1809-1815)، حيث أسند إليه قيادة ثلاث فرقاطات، وأُرسل بدورية للذهاب إلى جبل طارق والمحيط الأطلسي. وفي سنة 1809، تمكن الرايس حميدو من أسر 12 سفينة، شملت سفنًا يونانية وإسبانية وهولندية وسويدية، كما استولى على باخرتين أمريكيتين في سنة 1812⁽¹⁾.

هكذا أصبح حميدو في عهد الداى علي باشا يحقق انتصارات متتالية، ويقوم بتحويل المراكب التجارية إلى مراكب جهادية، كما فعل مع المراكب اليونانية في سنة 1812. وقدر مجموع ما استولى عليه من ممتلكات، حيث تم الاستيلاء على سفن أمريكية في 17 جوان 1815، بينما تحطمت سفن هولندية في ميناء الجزائر نتيجة الحملة الإنجليزية التي نفذها اللورد اكسموث في سنة 1815⁽²⁾.

استولى عليها الأمريكان في 17 جوان 1815 وتحطمت في ميناء الجزائر جراء الحملة الإنجليزية عليه الرايس حميدو في الفترة 1812 - 1815. اثنين وعشرين سفينة. وحددت غنائمه في الفترة 1793 - 1815 بـ 267 غنيمة بمعدل 11.6 غنيمة في السنة

وقد ساهمت هذه الغنائم في انتعاش خزينة الدولة وتنشيط الحياة التجارية خاصة. والاقتصادية عامة وكانت إنجازات حميدو مطبوعة بالطابع التجاري الجهادي فالسفن التي أضافها للأسطول الجزائري هي من مختلف الجنسيات إسبانية هولندية سويدية، دانماركية، يونانية إيطالية وحتى أمريكية.

وهو ما يدل على العلاقة العدائية بين الجزائر وهذه الدول. لم تقتصر غنائم حميدو على البضائع والسفن وإنما كان لحميدو أسرى من مختلف الجنسيات والمستويات كالقادة والكتاب...

(1)- Pierre Boyer, Op.cit, p.234.

(2)- مروش منور ، المرجع السابق، ج 2، ص 373

إلخ. كان هؤلاء الورقة الضاغطة التي استعملها الدايات بطريقة أو بأخرى لتسوية علاقات الجزائر الخارجية. كما كان الحميدو اسهامات اجتماعية مثلما تدل عليه إحدى عقود التحبب، حيث أوقف حانوتا بباب الوادي على بنات أخته زوجة سفينجة⁽¹⁾.

ب- ظروف وملابسات استشهاد الرايس حميدو

1- الأوضاع الداخلية في الجزائر

رغم الانتصار البارز الذي حققته الجزائر سنة 1792 بتحريرها الكامل لمدينة وهران والمرسى الكبير من السيطرة الإسبانية، وهو التحرير الذي وصفته المصادر المحلية بلفظ "الفتح"، إلا أن أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر كانت مرحلة شاقة مليئة بالأزمات بالنسبة للجزائر. فقد بدأت علامات الضعف تظهر، ومظاهر التراجع والانهايار تزداد وضوحاً.⁽²⁾ وعلى صعيد البحرية، لوحظ افتقار الجزائر لقادة بارعين ولسفن ضخمة، حيث أن أقوى بارجة حربية لم تكن تتعدى سبعين مدفعاً، كما أن الأسطول البحري كان في أغلبه خاضعاً لسلطة الداى وكبار المسؤولين، وخاصة وكيل الحرج. أما من الناحية السياسية، فقد شكل مقتل الداى مصطفى باشا سنة 1805 نقطة تحول بارزة في نظام الحكم. فبحسب ما أورده الزهار، فإن الداى مصطفى باشا، والد سيدي أوهميم، قُتل على يد الميليشيا (العسكر)، ليتم بعده تعيين أحمد خوجة⁽³⁾. وقد استمر الاضطراب في نظام الحكم، لا سيما في ظل ضعف الأداء الذي أبداه الداى علي باشا الغسال.

(1)- عائشة غطاس المرجع السابق ، ج2 ، ص 478

(2)- أرزقي شوينام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي الجزائر، 2011، ص 72

(3)- الزهار ، المصدر السابق ، ص ص 88 - 89

لم يدم بقاء الداى علي باشا في الحكم أكثر من سنة واحدة، إذ قام خلال ولايته بنفي الرايس حميدو، على الرغم من أن الأخير لم يكن من أصل تركي، ولم يكن يشكل تهديداً مباشراً أو منافساً له على السلطة.

ورغم أن الداى نفسه أعاد الاعتبار لحميدو لاحقاً، إلا أنه لقي حتفه في 22 مارس 1815، أي قبل استشهاد الرايس حميدو بعدة أشهر فقط.

أعقبه في الحكم مصطفى الخزناجي، الذي لم يعمر طويلاً هو الآخر، حيث قُتل في 7 أبريل 1815. ثم تولى الحكم بعده عمر باشا، واستمر في السلطة حتى 8 ديسمبر 1817، وخلال فترة حكمه استشهد الرايس حميدو.

وقد عرفت الجزائر في هذه الحقبة توتراً وغياباً واضحاً للاستقرار السياسي، انعكس سلباً على الأداء الداخلي في ظل التهديدات الخارجية المتزايدة⁽¹⁾.

2- الأوضاع الدولية

لم تكن الأوضاع الدولية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر لصالح الجزائر، ولا لصالح باقي دول الغرب الإسلامي. فقد تعرضت الجزائر لعدة هجمات أجنبية، أبرزها الحملة الدنماركية سنة 1770، ثم حملة الكونت أوريلي سنة 1775. ومع تطور الأحداث، بدأت تتبلور فكرة التحالفات الدولية، حيث ظهرت تحالفات أوروبية موجهة ضد دول الغرب الإسلامي، وكانت الجزائر على رأس هذه الدول المستهدفة.

وبالنسبة لفرنسا، فقد كانت منشغلة بحروب الثورة الفرنسية وتداعياتها خلال الفترة الممتدة من 1789 إلى 1815. وكان نابليون بونابرت من أوائل القادة الذين تبنا خطاباً ضد ما يسميه الغرب "القرصنة البحرية"، وهو ما تجلّى في سنة 1798، حين قضى على التواجد البحري

(1)- رقية شارف ، مرجع سابق ، ص 430

الجزائري في جزيرة مالطا بالمتوسط الشرقي⁽¹⁾. تدهورت العلاقات بين الجزائر وفرنسا لاحقاً، خصوصاً بعد أن حظي القنصل الإنجليزي في الجزائر بامتيازات اقتصادية وتجارية، في الوقت الذي عرف فيه الوجود الفرنسي تراجعاً ملحوظاً. وازداد الوضع سوءاً حين رفض القنصل الفرنسي "ديبوا تانفيل" بتاريخ 30 ماي 1814 سداد الديون المستحقة على فرنسا لصالح الجزائر، وكان ذلك في عهد الداوي عمر باشا⁽²⁾. أما إنجلترا، فقد قادت التحالف الأوروبي نظراً لسيطرتها على نقاط استراتيجية، من أبرزها قاعدة جبل طارق، التي كانت مسرحاً لسقوط الرايس حميدو، إضافة إلى خليج فيكو (Vico) ، وجزيرة ماهون، التي لعبت دوراً حيوياً في التحركات البحرية البريطانية في المتوسط. مع مطلع القرن التاسع عشر، بدأت إنجلترا تفرض زعامتها البحرية على الساحة الدولية. ومن مظاهر هذه الزعامة، قيام الضابط البريطاني سدني سميث بتحرير مذكرة مفصلة تدعو إلى تحالف دولي بحري للقضاء على ما وصفه بالقرصنة البحرية، ووضعت الجزائر على رأس قائمة الدول المستهدفة من دول الغرب الإسلامي⁽³⁾. وقد قُدمت هذه المذكرة إلى مؤتمر فيينا في 31 أوت 1814، وتمت المصادقة عليها، على الرغم من أن المؤتمر كان مخصصاً لمعالجة الأوضاع الأوروبية بعد حروب نابليون. إلا أن

(1) - زكية زهرة، مهمة القنصل الإنجليزي بالانكليزي في الجزائر 1806-1812، المجلة التاريخية المغاربية. 56 العددان 108

- 107

(2) - يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 119

(3) - علي تابليت، "مذكرة سدني سميث ضد النشاط البحري لدول الغرب، مجلة الدراسات التاريخية . العدد 7 ، 1993 ،

الجزائر ، ص ص 167 172

النشاط البحري الجزائري كان من بين المواضيع التي طرحت على الطاولة، ما جعل إنجلترا تتخذ مواقف عدائية تجاه الجزائر وتقطع علاقاتها بها⁽¹⁾.

شهدت العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية توتراً كبيراً، بلغ حد القطيعة سنة 1812، بعد أن قام الـ **الداي الحاج علي** بطرد القنصل الأمريكي من الجزائر بسبب امتناع الولايات المتحدة عن دفع الإتاوات المفروضة عليها.

في تلك الفترة، تلقت أمريكا دعماً دبلوماسياً ومالياً من عدة دول أوروبية، ما مكنها من تعزيز أسطولها البحري وتوسيع نفوذها في **البحر الأبيض المتوسط**، مستفيدة من الخبرة التي اكتسبتها في حروبها السابقة ضد إنجلترا⁽²⁾ قد أنهت هذه الحروب باتفاقية **غانت (Ghent)** الموقعة في 24 ديسمبر 1814.

وفي مارس 1815، صادق **الكونغرس الأمريكي** على إعلان الحرب ضد الجزائر. ويرى **كانتارت**، القنصل الأمريكي السابق في المغرب، والذي كان أيضاً أسيراً لدى الـ **الداي ومديراً** لمكتبه، أن الدول الأوروبية لم تكن داعمة للمصالح الأمريكية في الجزائر، بل كانت العلاقات الأوروبية متوترة يغلب عليها التنافس والصراع من أجل الحصول على امتيازات سياسية وتجارية لدى الجزائر⁽³⁾.

3- مواقف إسبانيا والبرتغال والدولة العثمانية

أما بالنسبة لإسبانيا، فقد وقعت مع الجزائر **معاهدة سلم واستقرار** سنة 1792، بعد استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني.

(1)- شويتام، المرجع السابق، ص 143

(2)- علي تابليت، بحوث...، المرجع السابق، ص 191

(3)- كانتارت المصدر السابق، ص 191

كما أبرمت الجزائر هدنة مع البرتغال سنة 1793، وهو ما سمح للأسطول الجزائري بتوسيع مجال تحركه البحري حتى منطقة مضيق جبل طارق.

وفي تلك الأثناء، كانت أراضي الدولة العثمانية تتعرض لاعتداءات مستمرة من طرف القوى الغربية، في إطار ما عُرف بـ**"المسألة الشرقية"***، أي تقسيم تركة "الرجل المريض"، وهو المصطلح الذي أُطلق على الدولة العثمانية إبان ضعفها وتدهورها أمام الأطماع الغربية المتزايدة.

ج- استشهاد الرايس حميدو

قررت الولايات المتحدة الأمريكية غزو الجزائر فقاد أسطولها المكون من عشر قطع بالإضافة إلى سفن هولندية وسويدية ستيفن ديكاتور (Decature) متوجها إلى جبل طارق وذلك في 20 ماي 1815،⁽¹⁾ رفقة وليام شاعر الذي سيصبح قنصلا الأمريكية في الجزائر بعد الصلح⁽²⁾ رفعت السفن الأمريكية عند وصولها منطقة جبل طارق في 17 جوان 11015 الياية الإنجليزية لتمويه أسطول حميدو على أساس أن الجزائر على علاقة سلمية مع إنجلترا لذلك لم ينتبه الرايس حميدو، وعند اقتراب السفن الأمريكية رفعت العلم الأمريكي وبدأت في قنبلة سفن حميدو .

خروج حميدو لهذه المعركة كان باقتراح من وكيل الحرج وبموافقة الداى عمر باشا الذي لم يترك للرئيس حميدو حرية التصرف وأرغمه على الخروج بقوله له أتيت المصطفى بحراقة برتغالية.

(1)- محمد بن عبد الكريم حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، تأليف وتعريب، الطبعة الأولى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1972، ص 41.40

(2)- وليام شائر، مذكرات وليام شاعر قنصل أمريكا في الجزائر 1816 1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

وللحاج علي بحراقة تونسية، أما أنا فأريد حراقة أمريكية، وحسب الزهار فإن الداى ندم عن قراره وتأسف على استشهاده حميدو. (1)

وفي كل الأحوال كان الداى على علم بقدم حملة أمريكية بحرية لمهاجمة الجزائر. فأسرع. التجهيز المراكب للرايس حميدو وأمره بالخروج لجبل طارق حيث دارت المعركة بين الطرفين (2)، وواجه حميدو والقوات الأمريكية بكل شجاعة لكنه استشهد في بداية المعركة إثر إصابته بقذيفة أمريكية وهو في مقر قيادته، ويبدو أنه كان يدرك أنه سيستشهد لذلك أوصى نائبه برميته في البحر في حالة استشهاده حتى لا تلمس الأيدي الأمريكية جثته وفعلا هذا ما وقع حيث ألقى نائبه الباش رايس أحمد ولد عمر بجثته في البحر، وغضب الأمريكان لعدم حصولهم عليها، ورغم استمرار الباش رايس في القتال إلا أن الأمريكان استولوا على السفينتين التي كان عليها 406 أسير و 30 قتيل رميت جثتهم في البحر، وأخذوا راية حميدو وهي موجودة اليوم في أرشيف كتابة الدولة للخارجية الأمريكية بواشنطن (3).

ووضعت السفينة الأولى في ميناء قرطاجنة (4) والأخرى في ميناء أليكانتي وراسل ديكاتور كاتب دولته للبحرية يخبره بنتائج المعركة بعدها توجهت الفرقاطة الأمريكية إلى مدينة الجزائر العرض شروط الصلح

وافق الداى عمر باشا مرغما على شروط الصلح مع الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعدما سمع باستشهاد الرايس حميدو، فتم توقيع معاهدة الصلح في 30 جوان 1815، والمتضمنة إلغاء الإتاوات السنوية التي كانت تدفعها الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة 1795 1810

(1)- الزهار، المصدر السابق، ص 119

(2)- رقية شارف، مرجع سابق، ص

(3)- تابليت، بحوث...، المرجع السابق، ص 200

رقية شارف، مرجع سابق، ص 433 - (4)

للجزائر، وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين وأرجعت سفن الرايس حميدو إلى الجزائر، وعين وليام شاعر قنصلا جديدا الأمريكية في الجزائر (4 جويلية 2015 3 أفريل 1828)

ترتب عن استشهاد حميد و خسارة الجزائر الأكبر بحارتها، ورجل الفترة المناسب، حيث لم يظهر بعد ذلك رايس في مستواه وقوته. كما تعد هذه الحادثة ضربة قاضية للبحرية الجزائرية، وفتحت باب عودة الاعتداءات الخارجية على الجزائر. وما الحملة الإنجليزية الهولندية التي قادها اللورد اكسموت على مدينة الجزائر سنة 1816، وحملة هاري نبل (Harry Neal) سنة 1824 إلا دليل على ذلك هذه الاعتداءات التي تكشف عن طبيعة الصراع كونه ديني حضاري أكثر منه تجاري .

وهذا ما تفهمه من خلال ملخص رسالتي الداى حسين (1818-1830) إلى السلطان العثماني

محمود الثاني (1808-1839) نحن في حاجة ماسة إلى جلب الجنود من أزمير وضواحيها حتى نتمكن من مواجهة الانجليز والدفاع عن الدين والوطن كل هذه الضغوطات أضعفت الجزائر وسهلت احتلالها في 5 جويلية 1830⁽¹⁾

(1)- شويتام ، المرجع السابق ص ص 237 - 240

الفصل الثالث:

نشاطه البحري ضد القوى الأوروبية و الأمريكية

المبحث الأول: العمليات البحرية ضد القوى الأوروبية

المبحث الثاني: الحملة الأمريكية وتطور الوظيفة السياسية للرايس حميدو

الفصل الثالث : نشاطه البحري ضد القوى الأوروبية و الأمريكية

يُعدّ الرايس حميدو من أبرز أعلام البحرية الجزائرية في العهد العثماني، وقد تجلّى دوره القيادي والبطولي في عدد من الحملات البحرية الحاسمة التي خاضتها الجزائر ضد قوى إقليمية ومتوسطة في مطلع القرن التاسع عشر. فقد تميّزت مسيرته البحرية بجرأته في التخطيط والتنفيذ، وبنجاحاته التي عكست مدى القوة والهيبة التي كانت تتمتع بها البحرية الجزائرية في تلك الفترة.

المبحث الأول: العمليات البحرية ضد القوى الأوروبية

المطلب الأول : العمليات الحربية ضد مملكة نابولي(1794-1800)

بدأت مواجهات الرايس حميدو مع مملكة نابولي منذ وقت مبكر. ففي سنة 1794م، قاد حملة بحرية نحو سواحل جنوة، وتمكّن من الاشتباك مع سفينتين نابوليتين، ونجح في الاستيلاء على ثمانية مراكب والعودة بها إلى الجزائر دون خسائر تُذكر في صفوف قواته وفي 9 جوان 1799م، استولى الرايس حميدو على سفينة نابولية محملة بالفول، وأسر من عليها نحو تسعة أفراد، وبلغت قيمة البضائع 4,326 فرنك و60 سنتيمًا

وفي 30 أوت 1799م، تمكّن من الاستيلاء على ثلاث سفن نابولية محملة بالملح وعلى متنها 43 أسيرًا نابوليًا، وقدرت قيمة حمولتها بـ 25,468 فرنك و80 سنتيمًا⁽¹⁾.

وفي 2 جانفي 1800م، واصل الرايس حميدو حملاته ضد نابولي، فاستولى على سفينتين محملتين بالملح وعلى متنها 50 أسيرًا، وقدرت قيمة هذه الغنيمة بـ 36,499 فرنك و40 سنتيمًا⁽²⁾.

(1)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 66.

(2)- علي تابلت، المرجع السابق، ص 12.

المطلب الثاني : مواجهة نابولي، هولندا، وإسبانيا

أولاً : الحملة البحرية سنة 1802 ضد نابولي

في سنة 1802م، تجهزت الجزائر بسبعة مراكب بحرية، من بينها ثلاث فرقاطات حربية، عُين على إحداهما اليريس حميدو، وعلى الثانية اليريس شلبي، وكانت تلك الفرقاطة هي السفينة البرتغالية التي استولى عليها اليريس حميدو في وقت سابق، بينما تولى قيادة الثالثة اليريس محمد علي الذي كان الأقدم رتبة بين اليريس، مما جعله القبطان الأعلى قيادةً على جميع المراكب توجهت هذه الحملة نحو السواحل الأوروبية، وكان اليريس حميدو يرفع على فرقاطته علم فرس الشجاعة . وأثناء الإبحار، التقت الحملة بسفينة نابولية، فتقدّم اليريس شلبي لمهاجمتها، محاولاً تكرار أسلوب الالتصاق المباشر الذي سبق أن نجح فيه اليريس حميدو. وبعد اشتباك عنيف، تمكّن النابوليون من رفع مقدمة سفينتهم فوق فرقاطة شلبي، مما منع البحارة الجزائريين من الصعود. وبسبب الظلام وعدم الدعم، وخاصة من قبل اليريس حميدو الذي كان يراقب عن قرب دون أن يتدخل، انتهت المعركة بانسحاب النابوليون واستشهاد عدد كبير من المقاتلين الجزائريين

ويذكر أحمد الشريف الزهار على لسان أحد الشهود أن :

"لو شاء حميدو وتقدّم لأخذوا السفينة(1) "

ثانياً : مواجهة تونس والردع البحري

في إطار النزاع مع تونس، وبعد التمرد الذي أعلنه الأمير حمودة باشا، أطلق اليريس حميدو حملة بحرية هجومية، حيث رست سفنه في جزيرة جربة، وأثار هلع السكان المحليين لدرجة فرارهم لطلب النجدة من الأمير، بينما بقي اليريس حميدو في المرسى لأيام قبل أن يغادرها (2). وقد ردّ الأمير التونسي بتجهيز 13 مركباً حربيًا، إلا أن الاشتباك الذي جرى بين الطرفين في جزيرة

(1)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 79.

(2)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106-107؛

قرقنة انتهى بانتصار حميدو، الذي استولى على فرقاطة تونسية، بينما فرّت بقية السفن التونسية من المعركة.⁽¹⁾

ورغم أن الراجس حميدو لم يلاحق الفارين، نظراً لانهايار معنوياتهم، إلا أن هذا الانتصار كان له وقع كبير في البلاطين؛ فقد غضب الأمير التونسي من قادة بحريته، بينما قابل داي الجزائر الحدث بالتكريم، فكافأ طواقم السفن وزوّدهم بملابس مطرزة بالذهب، وخصّ الراجس حميدو بعباءات مالية وأوسمة تقديراً لبسالته.⁽²⁾

وفي سنة 1811م، أمر الباشا داي الجزائر بتجهيز عشر سفن حربية وعدد من زوارق اللنجور، بقيادة الراجس حميدو، وتوجّه هذا الأسطول إلى حلق الوادي التونسية، حيث قصف المدينة بالمدافع ثم انسحب عائداً إلى الجزائر.⁽³⁾

وفي نفس السنة، قامت ست سفن جزائرية بقيادة الراجس حميدو بالاستيلاء على شحنة تونسية كانت على متن سفينة إنجليزية، بلغت قيمتها ما يزيد عن 53,874 فرنك و60 سنتيمًا، ما شكل ضربة تجارية قوية للجانب التونسي.⁽⁴⁾

ثالثاً : الحملات ضد السفن اليونانية والإسكندنافية

لم يقتصر نشاط الراجس حميدو على المياه المغاربية، بل امتد نحو شرق المتوسط وسواحله الأوروبية، ففي 6 جويلية 1812م، قاد ثمانى سفن حربية واستولى على مركب يوناني محمّل

(1)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106-107؛

(2)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 106-107؛

(3)- صالح عباد، 1830-1514، دار هومه، الجزائر، 2012، ص 215.

(4)- Albert Devoulx, Rais Hamidou, Typographie Jourdan, Alger, 1859, p. 124.

بالقمح والزيت والخمور، قُدِّرت قيمته بـ 742,990 فرنك و 20 سنتيمًا، ما يعكس البعد الاقتصادي لهذه الحملات.⁽¹⁾

وفي سنة 1813م، قاد حملة جهادية جديدة استهدفت السفن اليونانية، حيث استولى على أكثر من عشرين سفينة، من بينها ثلاث سفن قرصنية صغيرة بدون مدافع، تم تحويلها إلى سفن حربية جزائرية بعد تزويدها بالمدافع، وهو ما يبرز مهارة الرئيس حميدو في تعزيز القدرات البحرية للإيالة من خلال الغنائم.⁽²⁾

رابعاً : الحملات البحرية ضد السويد والدنمارك (1813-1814)

واصل الرئيس حميدو قيادة الأسطول الجزائري في حملات بحرية مكثفة ضد سفن السويد والدنمارك خلال عامي 1813 و 1814، حيث شكَّلت هذه الغزوات جزءًا من سياسة الجزائر في الحفاظ على هيبتها البحرية وفرض سيطرتها على الملاحة المتوسطية.

ففي سنة 1813م، قاد الرئيس حميدو حملة بحرية أسفرت عن الاستيلاء على عشرين مركبًا تجاريًا تابعة للسويد والدنمارك، كانت محملة بشحنات من السكر، القهوة، الكوكا، و سلع أخرى متنوعة، تم بيعها داخل الجزائر وتحويلها إلى عائدات نقدية تعزز خزينة الدولة.⁽³⁾

وفي سنة 1814م، قاد حميدو ست سفن حربية بحثًا عن أهداف سويدية ودنماركية، فتمكن من غنم مركب سويدي محمّل بالملح، ومركب هولندي يحتوي على القماش والملح، إضافة إلى سفينة سويدية ثالثة كانت تحمل شحنات من دود القز، القهوة، والسكر، وسفينة دنماركية محملة بسمك المورة والخشب. وقد بلغت القيمة الإجمالية لهذه الغنائم نحو 41,290 فرنك

(1)- نفس المصدر، ص 130-131 (ضمن سياق الحملات البحرية).

(2)- نفس المصدر، ص 130-131 (ضمن سياق الحملات البحرية).

(3)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 109.

وفي نفس العام، أبحر اليريس حميدو مرة أخرى رفقة القائد علي طاطار على متن سفينتين حربيتين، واستوليا على سفينة سويدية محملة بالقماش، وسفينتين هولنديتين محملتين بالملح. وقد قدرت قيمة البضائع المصادرة في هذه الغزوة بـ 337,418 فرنك و 40 سنتيمًا، ما يعكس الحجم الاقتصادي الكبير للغنائم البحرية الجزائرية آنذاك.⁽¹⁾

خامسا : العمليات ضد هولندا وإسبانيا(1815)

رغم توقيع عدة معاهدات سلم بين الجزائر وهولندا، إلا أن العلاقات كانت تتأرجح بين التهدة والتوتر، خاصة بسبب استمرار الأسطول الجزائري في استهداف السفن الهولندية في عرض البحر. أما العلاقات مع إسبانيا، فقد ظلت قائمة على العداة الدائم، نتيجة المحاولات الإسبانية المتكررة لاسترجاع مواقعها الاستعمارية، خصوصا بعد خسارتها مدينة وهران أمام الجزائريين. وفي هذا السياق، خرج اليريس حميدو سنة 1815م على رأس خمس مراكب حربية في حملة بحرية ناجحة، تمكن خلالها من الاستيلاء على سفينة إسبانية محملة بالكاكو، وسفينة هولندية محملة بالملح وعلى متنها سبعة بحارة هولنديين. وبلغت القيمة المالية للغنائم المحصلة في هذه الحملة حوالي 94,050 فرنكًا و 60 سنتيمًا⁽²⁾.

المبحث الثاني: الحملة الأمريكية وتطور الوظيفة السياسية لليريس حميدو

يركز هذا المبحث على مواجهة الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى تطور وظيفة اليريس حميدو من مجرد قائد بحري إلى فاعل سياسي واقتصادي في السياسات العليا للدايات.

(1)- علي تابليت، المرجع السابق، ص 25.

(2)- علي تابليت، المرجع السابق، ص 25.

المطلب الأول الظروف العامة لحملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر (1815م)

شكّلت بداية القرن التاسع عشر مرحلة مفصلية في إعادة رسم موازين القوى العالمية، لا سيما بعد انقضاء الحروب النابليونية وتغير أولويات الدول الكبرى. وفي هذا السياق، برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة بحرية ناشئة تسعى لتأمين مصالحها التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، خصوصًا في ظل استمرار تهديدات القرصنة التي تمارسها أساطيل بعض دول شمال إفريقيا، وعلى رأسها الجزائر.⁽¹⁾

كان من أبرز العوامل التي شجّعت الولايات المتحدة على شن حملتها ضد الجزائر توقيعها لمعاهدة "غانت" مع بريطانيا في 24 ديسمبر 1814م، والتي أنهت الحرب بين الطرفين، وحرّرت بذلك الولايات المتحدة من التزاماتها العسكرية تجاه بريطانيا، ما أتاح لها توجيه قواتها نحو البحر المتوسط⁽²⁾. في الوقت نفسه، كانت الجزائر منهكة في نزاعات متفرقة مع عدة قوى أوروبية—منها هولندا والدنمارك وإيطاليا وإسبانيا وبروسيا وروسيا—ما أضعف من قدراتها الدفاعية وخلق فرصة ذهبية للولايات المتحدة لفرض شروطها دون مواجهة مقاومة دولية قوية.⁽³⁾

أمام هذا الوضع، عبّر الكونغرس الأمريكي عن استيائه من استمرار دفع الجزية للجزائر، معتبرًا ذلك أمرًا مهينًا لسيادة الأمة، فقرر إعلان الحرب على الإيالة، وأمر بإرسال أسطول بحري بقيادة الأميرال ستيفن ديكاتور إلى المتوسط. كان الهدف من الحملة فرض اتفاق سلام بشروط أمريكية، وضمان أمن السفن التجارية الأمريكية ضد أعمال القرصنة.⁽⁴⁾

(1) - جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 419.

(2) - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص 235-236.

(3) - نفس المرجع.

(4) - ويليام شالر، مصدر سابق، ص 146.

وبالفعل، انطلقت الحملة في منتصف عام 1815م، وكان من أولى مواجهاتها اعتراض السفينة الجزائرية "مشهودة" قرب السواحل الإسبانية، والتي كانت بقيادة اليريس حميدو، أحد أعظم قادة البحرية الجزائرية. دارت المعركة على مدى يومين، وأسفرت عن استشهاده اليريس حميدو وثلاثين من طاقمه، وقد وصف المؤرخون موته بأنه كان بطولياً؛ إذ بقي ثابتاً في كرسي القيادة تحت نيران العدو، ما يعكس تفانيه في أداء واجبه.⁽¹⁾

وتُعزى هذه المهمة التي خرج فيها حميدو إلى أوامر مباشرة من اليريس عمر، الذي تولى الحكم بين عامي 1815 و1817م. وقد اشتهر هذا الأخير بتصرفاته المتطرفة، إذ يُروى أنه أمر حميدو بإحضار فرقاطة أمريكية على غرار ما جلبه غيره من قادة البحرية من سفن أوروبية، رغم بعد المسافة وخطورة المهمة.⁽²⁾

وصل الأسطول الأمريكي إلى ميناء الجزائر في وقت كانت فيه معظم السفن الجزائرية منشغلة بمهام في عرض البحر، وغابت غالبية القيادات البحرية، ما جعل موقف الجزائر هشاً وغير مستعد لمواجهة عسكرية مباغتة⁽³⁾. ويرى بعض الباحثين أن غياب التنسيق الدفاعي وسوء التقدير السياسي قد ساهما في تسهيل تنفيذ الحملة الأمريكية وتحقيقها لأهدافها خلال فترة قصيرة نسبياً.⁽⁴⁾

المطلب الثاني : مضمون معاهدة 30 جويلية 1815م وآثارها الدبلوماسية

مثّلت معاهدة 30 جويلية 1815م بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية محطة مفصلية في تاريخ العلاقات بين الطرفين، حيث فرضت الولايات المتحدة شروطاً اعتبرها العديد

(1)- علي تابلت، اليريس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770 - 1830م، الأبيار، الجزائر، 2006، ص 25.

(2)- نفس المصدر، ص 26.

(3)- ويليام شالر، مصدر سابق، ص 160.

(4)- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية، مرجع سابق، ص 22.

من المؤرخين "مجحفة" في حق الجزائر، ووصفت المعاهدة بأنها "مخزية" من طرف بعض المصادر الجزائرية، نظرًا لما تضمنته من تنازلات كبيرة من الجانب الجزائري.⁽¹⁾

من أبرز بنود هذه المعاهدة:

إلغاء الإتاوات السنوية التي كانت تدفعها الولايات المتحدة للجزائر، والتي كانت تُعتبر مقابل الحماية البحرية وتأمين الملاحة الأمريكية في البحر المتوسط.⁽²⁾

إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين المحتجزين في الجزائر، مقابل الإفراج عن الأسرى الجزائريين الذين احتجزهم الأسطول الأمريكي أثناء الحملة.⁽³⁾

تعهد الولايات المتحدة بدفع تعويض مالي قدره 10,000 دولار عن السفينة الأمريكية "إيدوين"، التي كانت قد صودرت من قبل البحرية الجزائرية، كما التزمت بإعادة السفينتين اللتين استولى عليهما الأسطول الأمريكي خلال المعركة (وهما سفينتا الرايس حميدو).⁽⁴⁾

ويشير المؤرخ علي تابلت إلى أن المعاهدة الموقعة تضمنت 22 بندًا، وتحديدًا في المادة الرابعة، التزمت الجزائر بتعويض كامل وعادل للرعايا الأمريكيين الذين تعرّضوا للاحتجاز أو فقدوا ممتلكاتهم داخل الإيالة بسبب خرق المادة 22 من معاهدة السلام والصداقة المبرمة بين البلدين في 5 سبتمبر 1795م.⁽⁵⁾

أما المادة الأولى من المعاهدة، فقد أكدت على "السلام الدائم" بين الطرفين، وأنها صيغت وفقًا لنفس الامتيازات الممنوحة للدول "الأكثر حضوة". إلا أن هذا المفهوم لم يرق للداي عمر،

(1)- صالح عباد، مرجع سابق، ص 218.

(2)- حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية، مرجع سابق، ص 22-23.

(3)- علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص 459.

(4)- مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج 1، ص 240.

(5)- علي تابلت، نفس المصدر، ص 459.

الذي طلب إلغاءه، فتم بالفعل توقيع اتفاقية معدلة بتاريخ 23 ديسمبر 1816م، ألغت بند الحضوة واستبدلته بصياغة أكثر حيادية تحفظ للجزائر بعض من سيادتها.(1)

ورغم عدم وقوع أي صراع مباشر بين الجزائر والولايات المتحدة بعد سنة 1815م، إلا أن الأخيرة واصلت تخصيص نفقات مهمة على علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر، وتونس، وطرابلس الغرب. وتجدر الإشارة إلى أن الولايات المتحدة توقفت عن دفع الجزية السنوية، وهو ما شكّل فارقاً مهماً عن السياسات الأوروبية التي واصلت ذلك النوع من الترتيبات المالية إلى حين.(2)

المطلب الثالث : تحليل دور الرايس حميدو في البحرية الجزائرية

أولاً: البعد العسكري - الريادة في الغزو البحري

برز الرايس حميدو كأحد أعظم القادة البحريين في تاريخ الجزائر البحري، ليس فقط بسبب عدد غزواته، بل لطابعها الإستراتيجي ونطاقها الجغرافي الواسع. فقد قاد حملات بحرية ضد قوى أوروبية متنوعة: تونس، اليونان، الدنمارك، السويد، نابولي، هولندا، إسبانيا، مما يدل على قدرته على توسيع دائرة الاشتباك الجزائري في البحر الأبيض المتوسط وحتى في البحار الأطلسية (3)(4).

ما يميز حميدو عسكرياً هو المرونة التكتيكية، إذ استخدم أنواعاً مختلفة من السفن: الفرقاطات، الزوارق الخفيفة (النجور)، والمراكب المسلحة، معتمداً على عنصر المباغته والسيطرة البحرية الخاطفة. كما أظهر قدرته في التنسيق بين وحدات الأسطول وتنظيم الكمان البحرية، كما في

(1)- نفسه.

(2)- حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية، مرجع سابق، ص 23.

(3)- الشريف أحمد الزهار، المصدر السابق، ص 66، 79، 109.

(4)- علي تابليت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، ص 12، 25.

حالة الغزوات المتكررة ضد السفن السويدية والهولندية، أو عمليات القصف الساحلي كما فعل في حلق الوادي (1)(2).

لكن التجربة الميدانية تكشف أيضًا عن جوانب نقدية. ففي حادثة مواجهة السفينة النابولية سنة 1802، وُجه له **لوم ضمني** من قبل بعض الشهود التاريخيين - كما روى الزهار - لامتناعه عن دعم الرايس شلبي في لحظة حاسمة. وهذا يعكس ربما تحفظه الميداني المفرط أو انضباطه بأوامر استراتيجية عليا. (3)

ثانيا : البعد السياسي - أداة في توسيع السيادة البحرية للدايات

كان الرايس حميدو أكثر من مجرد قائد عسكري؛ فقد لعب دورًا مهمًا في تنفيذ السياسة الخارجية للدايات، عبر توظيف قوته البحرية كوسيلة لإبراز هيبة الجزائر في محيطها الإقليمي والدولي. فعلى سبيل المثال، تُظهر حملاته على تونس كيف تحول من أداة ردع عسكرية إلى وسيلة ضغط سياسي فرضت من خلالها الجزائر شروطها السيادية على بايات تونس، خصوصًا في مرحلة ما بعد تمرد حمودة باشا. (4)

كما ساهمت نجاحاته المتكررة ضد سفن الدول الكبرى - مثل هولندا والدنمارك - في فرض نوع من الاحترام القسري للسيادة الجزائرية على خطوط الملاحة، مما دفع كثيرًا من الدول إلى

(1)- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ص 215

(2)- Albert Devoulx: Rais Hamidou, Alger, 1859, p. 124.

(3)- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 79.

(4)- العايب، كوثر. العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م). مذكرة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، 2014 ص 36-37.

الدخول في معاهدات مع الجزائر لتأمين مصالحها التجارية، أو على الأقل، دفع "الإتاوات" السنوية لحماية سفنها.⁽¹⁾

ثالثاً : البعد الاقتصادي – الـرايس حميدو كمنتج للثروة

لم تكن غزوات الـرايس حميدو عملاً حربياً فحسب، بل كانت في جوهرها مشروعاً اقتصادياً للدولة الجزائرية، ساهم في تمويل بيت المال وتمويل السوق الداخلية. إذ تظهر تقديرات الغنائم المالية من السفن التي استولى عليها – كما في حالة السفن السويدية والهولندية والنابولية – أن قيمتها كانت تصل إلى مئات الآلاف من الفرنكات، فضلاً عن البضائع المهمة كالقهوة، السكر، الملح، الأخشاب، النسيج، وحتى دود القز⁽²⁾⁽³⁾.

لقد عمل الـرايس حميدو ضمن منطق "اقتصاد الغزو البحري"، حيث تمثل الغنيمة فيه مكافأة للبحارة ووسيلة تمويل للدولة، الأمر الذي زاد من شعبية الـرايس داخل الوسط البحري، إذ يُروى أن داي الجزائر كان يكرّمه علناً ويمنحه الهدايا والألبسة المطرزة بالذهب، اعترافاً بقيمة ما ينجزه من فتوحات بحرية.⁽⁴⁾

(1) - حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الأيالة 1815-1830. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007. ص 22-23.

(2) - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 109.

(3) - علي تابلت، المرجع السابق، ص 25.

(4) - صالح عباد، المرجع السابق، ص 215.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يتبين أن الرايس حميدو لم يكن مجرد قائد بحري عادي ضمن الأسطول الجزائري، بل شخصية تاريخية متميزة استطاعت أن تترك بصمة واضحة في سياق الجهاد البحري خلال أواخر العهد العثماني. لقد مثل نموذجًا للقائد المسلم الذي جمع بين الشجاعة والحنكة والانضباط، ونجح في تحويل التهديدات الأوروبية إلى فرص لإثبات السيادة الجزائرية البحرية على مستوى البحر الأبيض المتوسط بل وحتى في المحيط الأطلسي.

شكّلت حياة الرايس حميدو ومسيرته العسكرية مرآة حقيقية للمرحلة التاريخية التي عاش فيها، حيث عرفت الجزائر صراعًا مفتوحًا مع قوى أوروبية صاعدة، سعت إلى كسر شوكة الجهاد البحري واحتكار الطرق التجارية البحرية. غير أن الرايس حميدو، من خلال غزواته المنظمة، وتحركاته الاستراتيجية، استطاع أن يفرض على تلك القوى مبدأ التفاوض والاعتراف بقوة الجزائر البحرية. وقد كان نشاطه البحري في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، والدنمارك، والسويد، دليلاً واضحًا على التأثير العالمي الذي بلغه الجهاد البحري الجزائري.

نتائج الدراسة:

الرايس حميدو كان من أبرز رياس البحر في الجزائر العثمانية، حيث مثل نموذجًا فريدًا للقائد البحري الذي تولّى مسؤولياته في ظروف بالغة التعقيد، ونجح في تمثيل الجزائر كقوة بحرية محترمة في المتوسط.

تجلى الجهاد البحري كأداة دفاع وهجوم في آن واحد، وكان يُمارس ضمن إطار منظم قائم على قوانين صارمة، لا يمكن اختزاله في مفهوم "القرصنة" كما تصفه بعض المصادر الغربية.

الأسطول البحري الجزائري في عهد الرايس حميدو عرف تطورًا نوعيًا من حيث التنظيم والتسليح والانضباط، ما مكّنه من التصدي لأساطيل أوروبية وأمريكية.

الرايس حميدو لعب دورًا سياسيًا إلى جانب دوره العسكري، حيث مثلت حملاته البحرية وسيلة للضغط السياسي والاقتصادي على الدول المعادية، ما فرض على بعضها الدخول في مفاوضات واعترافات دبلوماسية مع الجزائر.

استشهد الرايس حميدو سنة 1815م مثل نقطة تحوّل كبرى في مسار البحرية الجزائرية، وأعقبه تراجع تدريجي في هيبة الجهاد البحري، بفعل التغيرات الدولية والضغط الأوروبي المتزايد.

التوصيات:

دعوة الباحثين إلى توسيع دائرة البحث حول رياس البحر الجزائريين، خصوصًا في العهد العثماني، والاهتمام بسيرهم ومساهماتهم التي ما تزال غير موثقة بالشكل الكافي.

تشجيع الدراسات المقارنة بين الجهاد البحري الجزائري ونظيره العثماني أو المغاربي عمومًا، للكشف عن الخصوصيات والأساليب التنظيمية المشتركة والتميزة.

العمل على تحرير صورة الجهاد البحري الجزائري من الرواية الأوروبية التي تصفه بالقرصنة، من خلال العودة إلى المصادر الأصلية، والوثائق العثمانية، والمراسلات الدولية، لفهم طبيعته وأهدافه الحقيقية.

الاهتمام بالتوثيق البصري والخرائطي لتاريخ البحرية الجزائرية، عبر إنشاء قواعد بيانات رقمية تجمع السفن، المعارك، والرموز البحرية، ما يساهم في تقديم صورة علمية دقيقة ومبسطة للباحثين والطلبة.

اقتراح إدراج سير القادة البحريين الجزائريين في المناهج التعليمية والتربوية، وعلى رأسهم الرايس حميدو، لتعريف الأجيال الجديدة بتاريخهم البحري المجيد وربطهم بهويتهم الحضارية.

الملاحق

الملحق (1) : ¹

نماذج لسفن من نوع القادرغة على اليمين و القالير على اليسار.



¹ عطلي محمد الامين مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة غرداية، 2011-2012 م

تمثال الرئيس حميدو بساحة الشهداء بمدينة الجزائر العاصمة



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولاً - المصادر:

أ- المصادر العربية:

1. التمكروتي. النفحة المسكية. الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 2002.
2. الزهار، أحمد الشريف. مذكرات نقيب الأشراف. تحقيق أحمد توفيق المدني. ط2. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
3. خوجة، حمدان بن عثمان. المرأة. تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2005.
4. ابن رقية التلمساني، الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها الكفرة، ترجمه ألفونس روسو، ط1، 2017.
4. شالر، وليام. مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824. تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
5. كاثكارت، جيمس لندر. مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب. ترجمة وتعليق إسماعيل العربي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

ب- المصادر الأجنبية:

1. Dan, Pierre. *Histoire de Barbarie et de ses corsaires*. Paris: Pierre Rocolet, 1637.
2. Devoulx, Albert. *Le Registre des prises maritimes*. Paris: Typographie Adolphe Jourdan, 1871.
3. Devoulx, Albert. *Le Rais Hamidou notice biographique*. Alger: Typographie Adolph Jourdan, 1859.
4. Devoulx, Albert. "La marine de la régence d'Alger." *Revue Africaine*, no. 77 (septembre 1869).

ثانياً - المراجع:

أ- المراجع العربية:

1. بلحميسي، مولاي. (1518-1830). *Marine et marins d'Alger*. الجزائر: المكتبة الوطنية الجزائرية، 1996.
2. بوحمشوش، نعيمة. طائفة الرياس الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها. الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، 2007.

3. بوعزيز، يحيى. علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.
4. بوعزيز، يحيى. الموجز في تاريخ الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
5. تابليت، علي. الرئيس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1830م. الجزائر: الأبيار، 2006.
6. تابليت، علي. بحوث في تاريخ الجزائر: ج1 الفترة العثمانية. الجزائر: دار ثالثة، 2014.
9. دوفو، ألبير. الرئيس حميدو. ترجمة محمد العربي الزبيرى. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1972.
10. الساحلي، خالد. تاريخ الجزائر في العهد العثماني. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1975.
11. سينسر، وليم. الجزائر في عهد رياس البحر. الجزائر: دار القصة، 2006.
12. جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
13. شويتام، أرزقي. نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830. ط1. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2011.
14. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار البعث، قسنطينة
14. طوبال، نجوى. "الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (1122-1246هـ/1710-1830م)". رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، -2013. 2014.
15. عباد، صالح. الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومه، الجزائر، 2012.
16. عبد الكريم، محمد بن. حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته. ط1. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972.
17. غطاس، عائشة. الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830: مقارنة اجتماعية-اقتصادية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2007.

18. المدني، أحمد توفيق. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
19. محمد، ساهرة حسين. حروب البحرية العثمانية 1454-1918: دراسة تاريخية. بغداد: دار الكتب العلمية، 2022.
20. مروش، منور. دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، الجزء الثاني: القرصنة، الأساطير والواقع. الجزائر: دار القصة للنشر، 2009.
21. هليلي، حنفي. العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الأيالة 1815-1830. عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
- ب- المراجع الأجنبية:

1. Boyer, Pierre. *La vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française*. Paris: Hachette, 1963.
2. Braudel, Fernand. *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*. Paris: Armand Colin, 198[?].
3. Courtinat, Roland. *La piraterie barbaresque en Méditerranée*. Paris: Éditions L'Harmattan, 2003.
4. De Grammont, H. *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*. Paris: E. Leroux, 1887.

ثالثاً - الرسائل الجامعية:

1. تابليت، علي. "العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830". أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2007/2006.
2. العايب، كوثر. "العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م)". مذكرة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي، 2014.
3. عطلي، محمد الأمين. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. جامعة غرداية، 2011-2012
- رابعاً: المجلات :

1. تابليت، علي. مذكرة سدني سميت ضد النشاط البحري لدول الغرب". مجلة الدراسات التاريخية، العدد 7، 1993، الجزائر.
2. تومي، الطاهر". الفترة الإسبانية للجزائر سنة 1775 م". مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، العدد 4، ديسمبر 2016.

3. توتة، إسماعيل وصدّاق، يوسف". الرايس حميدو أول بحار محلي في أسطول الجزائر العثمانية (1770-1815)". مجلة رؤى - الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 1.
4. زهرة، زكية". مهمة القنصل الإنجليزي بالانكلياي في الجزائر 1806-1812". المجلة التاريخية المغربية، العدد 56، العددان 107-108.
5. شارف، رقية". الرايس حميدو 1770-1815 رمز من رموز البحرية الجزائرية". مجلة البحوث التاريخية، المجلد 06، العدد 02، ديسمبر 2022

ملخص:

تناولت هذه الدراسة مسيرة الرايس حميدو، أحد أبرز قادة الجهاد البحري في الجزائر خلال العهد العثماني، مركزةً على دوره في الدفاع عن السيادة البحرية الجزائرية بين سنتي 1770 و1815. وقد سلط البحث الضوء على السياق التاريخي الذي برز فيه، لا سيما ما تعلق بتصاعد التهديدات الأوروبية لسواحل المغرب الإسلامي، وتطور الأسطول الجزائري كأداة دفاع وهجوم.

استعرضت الدراسة شخصية الرايس حميدو من حيث النشأة، التكوين البحري، الكفاءة القيادية، والإنجازات العسكرية، مع تحليل للمعارك التي خاضها ضد قوى بحرية كبرى مثل السويد، الدنمارك، الولايات المتحدة، و نابولي. كما بيّنت كيف استطاع هذا القائد أن يدمج بين الجهاد البحري والمصالح السياسية والاقتصادية للدولة الجزائرية، مما جعله من أبرز رموز السيادة في البحر المتوسط.

واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، بهدف تقديم قراءة دقيقة ومعقدة لدور الرايس حميدو في مرحلة مفصلية من تاريخ الجزائر البحري.

الكلمات المفتاحية

الرايس حميدو، الجهاد البحري، البحرية الجزائرية، رياس البحر، الدولة العثمانية .

Abstract:

This study explores the career of Rais Hamidou, one of the most prominent naval leaders of Algeria during the Ottoman period, focusing on his role in defending Algerian maritime sovereignty between 1770 and 1815. The research examines the historical context in which he emerged, marked by increasing European threats to the Maghreb coast and the development of the Algerian fleet as both a defensive and offensive force.

The study highlights Rais Hamidou's background, naval training, leadership skills, and military achievements, particularly his campaigns against major naval powers such as Sweden, Denmark, the United States, and Naples. It demonstrates how he successfully combined jihad at sea with political and economic interests of the Algerian state, becoming a symbol of sovereignty in the Mediterranean.

The study adopts a historical-analytical approach to offer a comprehensive understanding of Rais Hamidou's role during a pivotal era in Algeria's maritime history.

Keywords

Rais Hamidou, Naval Jihad, Algerian Navy, Corsairs, Ottoman Empire, Maritime Sovereignty, Mediterranean Sea, Organized Piracy.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الرايس حميدو دوره في لجهاد البحري 1770-1815م

إعداد الطالبة:

1- بن معتوق مزيدة

رقم التسجيل: 2020355074196

القسم: التاريخ

الشعبة: التاريخ التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: أ.د. مصطفى عبيد

الرتبة: أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

Mugebe

رئيس القسم



[Signature]



كلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences

*Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues*

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

الرقم : 2025/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي (ة) أدناه،

السيد (ة)؛ بن معتوق مفيدة

الصفة (طالب، أستاذ باحث، باحث دائم)؛ طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 204472348

الصادرة بتاريخ: 2019/03/28 دائرة، أولاد دراج

المسجل (ة)؛ بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 2020355074196

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة ماستر).

عنوانها: الرئيس حميدو دوره في لجهاد البحري 1770-1815م

أصرح بشرفي بأنني أتزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة

الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

المسيلة : في 2025/06/10

إمضاء المعني(ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها